وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ – الدراسات العليا

الاستخبارات العثمانية وأثرها في السياستين الداخلية والخارجية (١٨٨٠-١٩٠٨م)

أطروحة مقدَّمة
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث والمعاصر

من الطالبة
نور إبراهيم نجم العزاوي

بإشراف
الأستاذ الدكتور
وسام علي ثابت الجبوري

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

الفصل الأول

التجسُّس والاستخبارات في الدولة العثمانية حتَّى عام ١٨٨٠م

المبحث الأول: نشأة نشاط التجسُّس والاستخبارات العثماني وتطوره منذ نشوء الدولة حتَّى عام ١٨٧٦م

المبحث الثاني: مصادر التجسُّس وصنوف الاستخبارات العثمانية حتَّى عام ١٨٨٠م

المبحث الثالث: عوامل نزوع عبد الحميد الثاني نحو الحكم المطلق

المبحث الأول
نشأة نشاط التجسُّس والاستخبارات العثماني وتطوُّره منذ نشوء الدولة حتَّى عام ١٨٧٦م

عند الحديث عن مفردتَيْ "استخبارات" و"تجسُّس" وتاريخ العمل بهما، لا بدَّ من القول إن "الاستخبارات" نشاطٌ سريٌّ للدولة أو لعناصر تابعة لها تعمل في داخلها أو خارجها لمصلحة النظام السياسي الحاكم فيها من خلال مجموعة من المهام المعقَّدة التي تُناط بها لحمايتها وحماية نظامها السياسي من الأخطار والتحديات الخارجية والداخلية، ولا تقتصر مهامها على جمع البيانات والمعلومات، بل تشمل القيام بنشاطات ميدانية لمصلحة بلدانهم أيضًا؛ أمَّا في حالة "التجسُّس" فالدول تعلم أن هناك جهات استخباريةً تعمل لمصلحة دول معينة، ولكن لا تعلم بوجود تجسُّس ضدها، ولذلك يوصف النشاط الاستخباري بأنه قانونيٌّ، بينما التجسُّس غير قانوني، وغالبًا ما يكون عمل الجواسيس خارج البلد، بينما النشاط الاستخباري داخلي وخارجي(١).

كذلك يمكن تعريف التجسس بأنه نشاطٌ سريٌّ فرديٌّ أو جماعيٌّ لجمع المعلومات المختلفة بصورة غير قانونية غالبًا، تهدف إلى الإضرار بالجهة المستهدفة سواءً كانت أفرادًا أو دولاً، لكن ليس بالضرورة أن تكون مهمَّة الجواسيس إلحاق الضرر، بل المراقبة والمتابعة ومعرفة نشاط الجهة المستهدَفة، وهي النقطة التي تشترك فيها جميع الجهات الاستخبارية وتصبح جزءًا منها، كونها تعمل تحت علم واحد ونظام حكم واحد وضمن بلد واحد(٢)، وتعدُّ عملية

---

(١) برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة: سيد رضوان علي، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٢م، ص٦٨-٦٩.

(2) Nurullah Aydın, *Osmanlı İmparatorluğu'nda İstihbarat*, Parola Yayinlari, Istanbul, 2018, s. 156.

جمع المعلومات وتحليلها وفهمها وإيصالها إلى الجهات العليا في الدولة لاتخاذ ما يلزم بشأنها، من أهم مهام الاستخبارات(١).

أولت الدول منذ القِدم الاستخبارات، أو كما كانت تُعرف بـــ "العيــون" أو "التجسُّس"، اهتمامًا كبيرًا لتمييز العدو من الصديق، وكشف المؤامرات قبل تحققها ومعالجة الأزمات وحلِّها قبل تفاقمها وتعقُّدها، فالكشف المبكــر يســهِّل المعالجــة والحل، بينما التأخُّر يعقِّدهما، وهذا ما زاد أهميَّة الاستطلاع والتجسُّس، وغالبًا مــا تلجأ الحكومات إلى أساليب ووسائل لإخفاء حقيقة مآربها السياســية والعســكرية، ولاسيَّما أمام الأعداء والخصوم، لذا فإن عمل الاستخبارات أو المراقبة والتجسس ضروريٌّ في كشف تلك المآرب ومعالجتها، وليس الأخذ بما تُظهره تلــك الــدول للعلن أو في الإعلام كما يحصل اليوم(٢).

تذكر المصادر أن التجسُّس استُخدم منذ القِدم، إذ استخدم الفراعنة عناصر لها مؤهلاتٌ معينةٌ في عمليات التجسُّس وجمع المعلومات لمصلحة ملوكهم من مناطق أو بلدان أخرى، وعند انتشار الإسلام شهد عصر النبــي محمَّــد (ﷺ) إشــارات واضحةً لذلك النشاط الأمني العسكري، عندما كانت دعوته إلى الإسلام تتعــرض إلى مخاطر كبيرة، إذ كان يكلِّف الثِّقات من أصحابه ببعض المهام الأمنية لإنجــاح دعوته، وتطور ذلك النشاط مع تطور الدولة العربيــة الإســلامية علــى امتــداد عصورها ومراحلها(٣).

أمَّا الدولة العثمانية فقد عُرفت منذ نشأتها بطابعها العسكري وكانــت تشــعر بالعداء والخطر من جيرانها وخصومها دائمًا، فاهتمَّت بالاستخبارات كثيرًا لحماية نفسها داخليًّا وخارجيًّا بما يلائم عصرها وظروفها، لذا جاءت مفردة الاستخبارات

(1) Ahmet Yüksel, "Osmanlı İstihbarat Ağını Besleyen Bilgi Kanalları (Kuruluştan II. Abdülhamid Devrine Kadar)", *XVIII. Türk Tarih Kongresi*, c. 3, sy. 13, Ankara, 1 - 5 October 2018, ss. 1-33.

(2) A. g., ss. 3-5.

(٣) كرم حلمي فرحات، تاريخ الاستخبارات الإسلامية عبر العصور، المكتبة الشاملة الذهبية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٤٣-١٤٤.

لتدل على جمع الأخبار والمعلومات المختلفة، وكان النشاط الاستخباري من صميم مؤسساتها الأمنية والسياسية في جميع مراحلها[١].

كانت مهمَّة شبكة الاستخبارات العثمانية المبكرة استطلاع استعدادات الأعداء العسكرية وأوضاعهم السياسية، ثمَّ توسعت فشملت نقل الأخبار والتقارير الاقتصادية والمالية أيضًا، بالاعتماد على شبكة واسعة من الجواسيس من خلفيات دينية وعرقية مختلفة[٢]، وقد سلك نشاطها خلال تاريخه الطويل الكثير من الطرق الإدارية والعسكرية والسياسية السرية داخل الدول الأخرى، ولاسيَّما المعادية، لتدارك حدوث الكثير من التهديدات الداخلية والخارجية المفاجئة والحدِّ من مآربها السياسية الدبلوماسية[٣]، والقضاء على حركات التمرد والفوضى التي تهدد الأمن الداخلي داخل الإيالات العثمانية[٤]، أو في أثناء الصراعات على العرش بين أولاد السلاطين أنفسهم[٥].

تزامنت بداية الأنشطة الاستخبارية العثمانية مع حملات العثمانيين في موطنهم الأول في شمال غرب الأناضول (بيثينيا)، لكن المعلومات عنها حتَّى أواخر القرن الرابع عشر متواضعةٌ بسبب شُحِّ المصادر عن تلك المرحلة المبكرة، وكان أورخان غازي (١٣٢٦-١٣٦٢م)[٦] أول حاكم عثماني يلجأ إلى تلك الأنشطة ضد الأباطرة البيزنطيين، وواصل خلفاؤه العمل بها بالاستعانة بتنظيمَيْ

(1) Haldun Eroğlu, "Klasik Çağda Osmanlı İmparatorluğu İstihbarat Stratejileri", *Tarih Araştırmaları Dergisi*, c. 22, sy. 34, Ekim 2003, s. 24.

(2) Erkan Tural, *Osmanlı İmparatorluğu ve Avrupa Devlet Sistemi*, Yayın Yeri, İstanbul, 2017, s. 150.

(3) İbrahim Koçeli, *Osmanlı İmparatorluğu İstihbaratı*, İstanbul Üniversitesi, İstanbul, 2008, s. 6.

(٤) كانت تسمية "إيالة" تطلق على الأقسام الإدارية العثمانية، ثمَّ سُميت "ولاية" بعد صدور قانون الولايات العثماني لعام ١٨٦٤م. صالح سعداوي صالح، مصطلحات التاريخ العثماني، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ج٢، ٢٠١٦م، ج١، ص٢٠٠.

(5) İbrahim Koçeli, a. g. e., s. 131,

(6) Halil Inalcik, "Orhan", *IA*, c. 33, TDV, İstanbul, 2007, ss. 275-286.

"مارتولوس" و"وينوق" (اللذين سنذكرهما) ضد كل من بيزنطة والمجر وصربيا وجمهورية البندقية والبابوية، والإمارات التركمانية في الأناضول، ولاسيَّما آل قره مان[١].

كذلك، استعان العثمانيون الأوائل في أنشطتهم التجسسية بالدراويش الشامانيين[٢] المنتشرين في الأناضول[٣] والروملي[٤]، وشكَّلوا منهم نواة شبكة استخبارات قويةً ومنظَّمةً، وأصبحت تكاياهم مؤسسات اجتماعيةً، وإن كانت السجلات والوثائق العثمانية أو الخاصة لا تذكر أي دور لهم في تلك الأنشطة، ولم يكن تعامل العثمانيين معهم يعني إيمانهم بالسحر في النشاط الاستخباري، بل لادعاء أفرادها القدرة على التنبؤ بالمستقبل والاتصال بعالم الأرواح وتفسير الأحداث، وهو ما تحتاجه الجهات الاستخبارية في مراقبة الخصوم ومعرفة نشاطهم[٥].

في أثناء معركة بلوتشنيك Pločnik (قرية في جنوب شرق صربيا) بين العثمانيين والصرب عام ١٣٨٧م، أرسل السلطان مراد الأول (١٣٦٢-

(1) Cemile Kara, "Osmanli DevletİI'nda Martolos Teşkilatı", Yüksek Lisans Tezi, Anadolu Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Tarih Anabilim Dalı, Nisan, 2003, s. 2.

(٢) الشامانية: جماعة دينية تؤمن بالسحر والشعوذة والغيبيات، تعود أصولها إلى أقوام بعض مناطق وبلدان آسيا الشمالية، كان يسمح لزعيمها بممارسة الكهانة والشفاء، والـ "شامان" شخصٌ في المجتمعات القبلية يعمل وسيطًا روحيًّا، وأصلها من مفردة في لغة التانغوز في سيبيريا، للمزيد يُنظر: سامي سعيد الأحمد، "الشامانية"، البلاغ (مجلة)، مج٢، العدد ١، بغداد (١٩٦٧م)، ص٧٨-٩١.

(٣) اشتملت ولايات الاناضول في أواخر القرن التاسع عشر المنطقة الممتدة من البحر الأسود شمالاً إلى البحر المتوسط والشام جنوبًا، ومن بحر إيجة إلى بلاد فارس والعراق، وهي تمثل معظم الأراضي التركية حاليًا.

(٤) الروملي (أو روم إيلي): البلقان، أو الجزء الأوروبي من الأراضي العثمانية.

(5) Paul Bodensiek & Philip Hansen, *Dungeons and Dragons: Dragonshard*, DK Games, Cambridge, 2005, pp. 8-9.

١٣٨٩م)[١] قوةً قوامها عشرون ألف مقاتل بقيادة القائد لالا شاهين باشا (١٣٣٠-١٣٨٨م) لمحاربة الصرب بقيادة الأمير لازار هربجانوفيك Lazar Hrebeljanović (١٣٧٣-١٣٨٩م)، ولكن بعد انسحاب ثمانية عشر ألفًا من قواته لم يبقَ معه سوى ألفي مقاتل بسبب معلومات استخبارية مضللة مفادها أن جبهة القتال خاليةٌ من الأعداء، ولكن تبيَّن لاحقًا أن الصرب والبوسنيين تحالفوا ضد العثمانيين بقوة قوامها ثلاثون ألف مقاتل مدرَّع، وعندما دخل لالا شاهين باشا إلى البوسنة، تفاجأ بوجودهم، فهُزم هزيمةً نكراء أعطت مؤشرًا على أهمية تعزيز الجهد الاستخباري وتقويته لتجنب المزيد من الخسائر[٢].

استمر تطور الاستخبارات العثمانية خلال عهد السلطان بايزيد الأول (يلدرم "الصاعقة"، ١٣٨٩-١٤٠٢م)[٣] بالتوازي مع توسيع الحدود، وشهد عهده تطورات ملحوظةً في النشاط الاستخباري لفتح أراضٍ أوروبية جديدة، وأدى تعدد مراكز القوى في الأناضول بعد أسره ومن ثمَّ وفاته في أعقاب معركة أنقرة (٢٠/ ٢٨ تموز ١٤٠٢م) وبدء الحرب الأهلية بين أولاده (١٤٠٢-١٤١٣م) التي انتهت باعتلاء السلطان محمَّد الأول (جلبي) العرش (١٤١٣-١٤٢١م)[٤]، وضعف السلطة المركزية الذي تمخض عنها، إلى تنشيط الجهد الاستخباري الذي كان بيد

(1) Halil Inalcik, "Murad I", *IA*, c. 31, TDV, Ankara, 2020, ss. 156-164.

(2) İsmail Yildiz, "XVIII. Yüzyilin Ilk ve Son Çeyreğinde Çankırı (Şer'iyye Sicillerine Dayalı Bir Karşılaştırma Denemesi", Master Tez, Gazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Ankara, 2008, s. 57.

(3) Halil Inalcik, "Bayezid "I, *IA*, c. 5. TDV, İstanbul, 1992, ss. 231-234.

(٤) عن تلك التطورات، يُنظر: علي خليل أحمد، الدولة العثمانية في سنوات المحنة (المقدمات، الوقائع، النتائج)، دار الحامد، عمَّان، ٢٠١١م.

السلطان الذي حرص على متابعة عمل الجواسيس والمخبرين لكشف نقاط الضعف في دولته[١].

تطور الجهد الاستخباري خلال القرن الخامس عشر، إذ كان السلطان محمَّد الثاني[٢] (١٤٤٤-١٤٤٦م/ ١٤٥١-١٤٨١م) يستعين بالفنانين الإيطاليين لأغراض استخبارية، وفي عام ١٤٦١م، أهداه الرسام الايطالي ماتيو دي باستي Matteo De Basti كتابًا مع خطاب توصية، ولكن تبيَّن أنه كان جاسوسًا فاعتُقل وسُجن بتهمة التجسُّس، وأُتيحت لـ"عيون" السلطان في إيطاليا الفرصة لاختراق أعلى الدوائر في مختلف المدن، ولاسيَّما البندقية، التي كان يتابع التطورات فيها بفضل جاسوسين كان يدفع لكل منهما أربعة آلاف دوكة (عملة البندقية) سنويًّا، كما أفاد من التجار المارين بإستانبول لمعرفتهم بما لا يعلمه غيرهم[٣].

زاد انتشار الأنشطة الاستخبارية، ولاسيَّما في الشؤون العسكرية، بعد اتساع ممتلكات الدولة العثمانية، وتجسَّد بتنويع قنوات المعلومات، وكان لفتح القسطنطينية واتخاذها عاصمةً في عام ١٤٥٣م بعد أدرنة (١٣٦٢-١٤٥٣م) دورٌ في ذلك، إذ أصبح أهل الذمَّة، ولاسيَّما يهود إسبانيا (السفارديم)، بعد طردهم منها عام ١٤٩٢م واستقرارهم في الدولة العثمانية، من عناصر الاستخبارات المهمَّة لتحكمهم ببعض الأنشطة الاقتصادية، حتَّى بات التجسُّس، ولاسيمَّا الخارجي، واجبًا برعوا فيه لقدرتهم على الاندماج بسهولة وسرية بين المسيحيين بفضل إلمامهم باللغات الأجنبية، واستمرَّ النشاط الاستخباري بعد وفاة ذلك السلطان، إذ كان الصراع قائمًا

(1) Salim Aydin, (Kitap incelemesi): Gültekin Yıldız, "Osmanli Devleti'nde Askerî İstihbarat (1864-1914)", *Dumlupınar Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi,* c. 65 (2020), s. 332.

(٢) الفاتح منذ عام ١٤٥٣م؛

Halil Inalcik, "Mehmed II", *IA*, c. 28, TDV, Ankara, 2003, ss. 395-407.

(3) Cemile Kara, a. g. e., s. 37.

بين جواسيس ولديه المتنافسَيْن على العرش، بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م) وجم (١٤٥٩-١٤٩٥م)[١].

في مطلع القرن السادس عشر أولى السلطان سليم الأول (ياووز "القاطع"، ١٥١٢-١٥٢٠م)[٢] اهتمامًا كبيرًا لأنشطة الاستخبارات المحلية والخارجية، فاستعان بالجواسيس لمتابعة تحركات الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤م) وجيشه خلال معركة جالديران (٢٣ آب ١٥١٤م)، حتَّى أنه أنشأ شبكة تجسُّس منظَّمةً رفدت الجيش العثماني بمعلومات مهمَّة خلال حملته على المماليك التي انتهت بانتصاره عليهم ودخول بلاد الشام ومصر في معركتي مرج دابق (٢٤ آب ١٥١٦م) والريدانية (٢٢ كانون الثاني ١٥١٧م)[٣].

تضاعف الاهتمام بالاستخبارات في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)[٤]، فشهد تنوعًا كبيرًا بتأثير الحاجة الناشئة عن اتساع الدولة العثمانية وبلوغها ذروة نفوذها، إذ كان لدى العثمانيين جواسيس يهود يتحدثون اللغات الأوروبية بطلاقة، لكنهم كانوا يترددون على قلاع أمراء أوروبا وقصورهم، ووصل الأمر بهم إلى التجسس حتَّى في قصر الإمبراطور شارل الخامس (شارلكان، ١٥١٩-١٥٥٦م)، وربما كانوا جواسيس مزدوجين[٥].

كان العثمانيون متفوقين على المجريين في تجنيد الجواسيس، إذ كان السلطان سليمان يركِّز على الاستخبارات العسكرية قبل كل حملة، وتكشف معركة موهاج

(1) Yusuf İhsan Genç (et al.), Başbakanlik, *Osmanli Arşivi Rehberi*, T. C. Başbakanlık K Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, İstanbul, 2010, s. 39.

(2) Feridun Emecen, "Selim I", *IA*, c. 36, TDV, İstanbul, 2009, ss. 407-411.

(3) Feridun Emecn, *Osmanlı Klasik Döneminde Savaş*, Timaş Yay, İstanbul, 2010, s. 155.

(4) Feridun Emecen-Coşkun Ak, "Süleyman I", *IA*, c. 38, TDV, İstanbul, 2010, ss. 62-75.

(5) Çağdaş Yüksel, "Teşkilat-i Mahsusa ve Çete Savaşi", *Ulakbilge*, c. 6, sy. 31 (2018), s. 1745.

(٢٩ آب ١٥٢٦م) مدى تأثير الجهد الاستخباري العثماني في الاستعدادات للحملة، إذ قام قائد الجناح الأيمن للجيش "بالي بك بن يحيى باشا"[١] بتنفيذ سلسلة غارات مباغته على حدود المجر ونقل إلى المعسكر العثماني ما استطاع معرفته، مستفيدًا من إتقانه اللغة المجرية، وقبل أن يشتبك الطرفان أبلغه الجواسيس العثمانيون بحجم القوة المعادية والخندق المحفور لعرقلة تقدم العثمانيين، فقرر انتظار العدو وأوقف تقدم جيشه بعد اجتماعه مع قادة الجيش[٢]، ثمَّ شهد نهاية عهد ذلك السلطان صراع على عرش السلطنة بين الأميرين بايزيد وسليم إلى تكثيف الجهود الاستخبارية، وبينما كان يتابع الصراع من خلال جواسيسه، كان الأميران المتنافسان يتجسسان على بعضهما البعض من خلال شبكة من الخدم[٣].

استمر توسع النشاط الاستخباري العثماني، وكانت له نتائج سياسيةٌ مهمَّةٌ عكست أهمية وجود شبكة استخبارات مركزية تضمن استمرار تدفق المعلومات في مناطق واسعة لمعرفة أوضاع الدول المعادية وأحوالها العسكرية والاقتصادية

---

(١) بالي بك بن يحيى باشا زاده (١٤٩٥-١٥٤٣م): قائد عثماني من فرسان الآقنجية (الخفيفة)، شارك في حروب المجر، ومنها حملة بلغراد (١٥٢١م)، وأصبح قائد قلعتها وسنجق بك بلغراد وحاكم البوسنة، وكان له دورٌ مؤثرٌ في هزيمة الجيش المجري في معركة موهاج (١٥٢٦م) التي عُيِّن بعدها في سنجق سمندرية بصربيا، ثمَّ خدم في إمارتي البوسنة وبلغراد، وفي عام ١٥٤٣م عُيِّن حاكمًا لبودا.

Zeynep Yürekli, *Architecture and Hagiography in the Ottoman Empire: The Politics of Bektashi Shrines in the Classical Age*, Routledge, New York, 2016, p. 119.

(2) Yusuf İhsan Genç Diğerleri, a. g. e., s. 138.

كانت أعداد الجواسيس العثمانيين كبيرةً في المجر، ولاسيَّما في قرية بارانيا "بيج" Pécs التي كان جميع سكانها جواسيس للعثمانيين لخشيتهم من تعرضهم إلى أشد الوان العذاب فيما لو تلكؤوا في نقل الأخبار في الوقت المحدد.

Polat Safi,"The Ottoman Special Organization-Teşkilat-ı Mahsusa: An Inquiry into its Operational and Administrative Characteristics", PhD diss., Bilkent University, Ankara, 2012, p. 5.

(3) Nurullah Aydın, *İşte İstihbarat*, 2nd ed., Kum Saati Yayınları, İstanbul, 2011, s. 81.

من خلال ولاة الحدود، أو ممثلين وعملاء في أوروبا(١).

كثَّف الباب العالي أنشطة الاستطلاع والاستخبارات للسيطرة على مناطق البلاد النائية وملاحقة قُطَّاع الطرق بالاستعانة بعدد من الأشخاص معظمهم من اليهود والمسيحيين المدربين تدريبًا خاصًّا ممَّن خدموا في أوروبا، ولاسيَّما من يهود البندقية(٢).

زار أول جاسوس عثماني، وهو غابرييل دو فران (الفرنسي) Gabriel De France، بريطانيا في عام ١٥٨١م، أي في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م)(٣)، وعلى الرغم من كونه فرنسي المولد، كان على احتكاك بالعثمانيين لكون والده قنصل فرنسا في الإسكندرية، وبعد أن اختطفه قُطَّاع الطرق في دلماشيا وباعوه للعثمانيين، اعتنق الإسلام واتخذ اسم "عبد الله"، ودخل في خدمة السلطان سليمان ومن بعده سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) ومراد الثالث، وكان له دورٌ كبيرٌ في متابعة التطورات العسكرية والسياسية في أوروبا ونقلها للدولة العثمانية(٤).

منذ القرن السابع عشر حتَّى أواخر القرن التاسع عشر تعرضت الدولة العثمانية إلى شتَّى التهديدات العسكرية والدبلوماسية الأوروبية، وأسهمت الانتصارات الروسية والنمساوية إلى انحسار حدودها، في وقت زاد فيه النفوذ

---

(1) Çağdaş Yüksel, a. g. e., s. 1746.

(2) Polat Safi, "The Ottoman Special Organization - Teşkilat-ı Mahsusa", *Literature, Middle Eastern Studies*, vol. 48, no. 1, (January, 2012), pp. 89-106.

(3) Bekir Kütükoğlu, "Murad III", *IA*, c. 31, TDV, Ankara, 2020. ss. 172-176.

(٤) استنادًا إلى ما ذكره ديهيرين الذي أحصى قناصل فرنسا في مصر، كان بيير بوماري Pierre Pomare هو القنصل الفرنسي في الإسكندرية خلال (١٥٣٩-١٥٦٥م)، ثمَّ تبعه الأخوان بينوا Benoit، وفي عام ١٥٧٠ عُيِّن الفلورنسي كريستوفيرو دي فينتو Cristofero di Vento، حتَّى نحو عام ١٥٩٠م.

H. Deherain, *Histoire de la nation egyptienne*, tome V, Librairie Plon, Paris, 1931, pp. 156-157.

الاقتصادي للفرنسيين والبريطانيين والهولنديين على حساب نفوذ البندقية الذي تراجع كثيرًا، فبدأت تلك الدول باستغلال نظام "الامتيازات الأجنبية" لحماية الأقليات الدينية في الأراضي العثمانية، وانعكس ذلك على اهتمام السلاطين بالنشاط الاستخباري؛ إذ كان السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م)[١] حريصًا على متابعة تقارير الجواسيس حينما أمر بشنق بطريرك كنيسة فنار للروم الأرثوذكس بعد إدانته بالتجسس، وتضاعف ذلك في عهد خلفه السلطان إبراهيم (١٦٤٠-١٦٤٨م)[٢] الذي شهد عهده حملات ضد أعداء الدولة التقليديين الصفويين (حملة يريفان، ١٦٢٣-١٦٣٩م) والبنادقة (حملة كريت، ١٦٤٥م)، اللتين أصبح استغلال جميع أنواع المصادر الاستخبارية والاهتمام بتحليل معلوماتها بعدهما لازمًا لوضع خطط الدولة المختلفة، ولاسيَّما العسكرية[٣].

في أواخر ذلك القرن، أحدثت معاهدة كارلوفيتز (قارلوفتجه) بين الدولة العثمانية والنمسا (٢٦ كانون الثاني ١٦٩٩م) تنوعًا في الأنشطة الاستخبارية العثمانية، ليس لأنها أدت إلى فقدان الأراضي العثمانية فحسب، بل لأنها أشَّرت تفوق الدبلوماسية الأوروبية أيضًا، وأشار المستشرق البريطاني برنارد لويس Bernard Louis، (١٩١٦-٢٠١٨م)، إلى أهميتها بقوله: "إن العثمانيين توجهوا إلى أوروبا الغربية ودخلوا في علاقات وثيقة معها للمرة الأولى لحماية أنفسهم من تهديد جيرانهم في أوروبا الوسطى والشرقية"[٤].

في المقابل، كان إهمال الاهتمام بالجهد الاستخباري أحد أهم أسباب تراجع العثمانيين، وهو ما تجسَّد في نصيحة رجل الدولة والمؤرِّخ العثماني الدفتردار

(1) Ziya Yilmazer- Nuri Özcan, "Murad IV", *IA*, c. 31, TDV, Ankara, 2020, ss. 177-183.
(2) Feridun Emecen, "Ibrâhim", *IA*, c. 21, TDV, İstanbul, 2000, ss. 274-281.
(3) Erdal Şimşek, *Türkiye İstihbarat ve MİT*, Komsati Yayınları, İstanbul, 2004, s. 192.
(4) Bernard Lewis, *Avrupa'nın Müslüman Keşfi*, İhsan Doru (çev.), Ayişiği Yayinlari, İstanbul, 2000, s. 290.

(منصب يقابل وزير المالية) ساري محمَّد باشا (ت. ١٧١٧م) للوزراء والأمراء التي ذكر فيها أن الكثير من الدول عانت من النحس بسبب جهلها بوضع العدو وعدم تلقي تقارير ومعلومات مفصَّلة عنه، وأوصى بإرسال عملاء سريين إلى حدود جميع الدول المعادية، ومحاولة التعرف على مَن أسماهم "الكفار"، وشددعلى أهمية الاعتماد على العارفين بأوضاع مناطق العدو والالتقاء بأهاليها ومعرفة وضع العدو منهم، وحذَّر من الغرور والتكبر، وأوصى بالحذر الشديد من الوكلاء، وبأهمية الحصول على أخبار الجواسيس منهم شخصيًّا دون أي وسيط، وكان بعض مترجمي الديوان الهمايوني(١) مطلعين على أسرار الدولة العثمانيية وأفشوها لأعدائها، ورغم أن مَن اكتُشف منهم عوقب بالإعدام، إلاَّ أن معظمهم ظل مجهولاً(٢).

أولى السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٤م)(٣) الجهد الاستخباري اهتمامًا كبيرًا، وعهد به إلى إداريين مقتدرين، مثل الصدر الأعظم محمَّد راغب باشا (١٧٥٧-١٧٦٣م)، الذي نجح في متابعة التحركات السياسية في أوروبا والتطورات في الدول المجاورة(٤).

---

(١) الديوان الهمايوني: أهم وأكبر أجهزة اتخاذ القرار في الإدارة العثمانية، منذ أواسط القرن الخامس عشر حتَّى النصف الأول من القرن السابع عشر، وعند العثمانيين يعني "المجلس" أو "الاجتماع" و"مكان الاجتماع"، واتسع هذا المفهوم فيما بعد فأصبح يعني الإدارة والدائرة الحكومية. للتفاصيل يُنظر: صالح سعداوي صالح، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٤-٦٢٨.

(2) Ahmet Yüksel, "II.Mahmud Devrinde Osmanli İmparatorluğu'nda İstihbarat Faaliyetleri", Cumhuriyet Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Ana Bilim Dalı Yakınçağ Tarihi Bilim Dalı, Doktora Tezi, Aralık, 2012, ss. 28, 61.

(3) Kemal Beydilli, "Mustafa III", *IA*, c. 31, TDV, Ankara, 2020, ss. 280-283.

(4) Sun Tzu, *Savaş Sanatı*, Adil Demir (çev), Kastas Yayinlari, Istanbul, 2008, ss. 261-262.

خلال الحرب الروسية ــ العثمانية (١٧٦٨-١٧٧٤م) التي انتهت بانتصار روسيا بموجب معاهدة كوجوك كينارجي (كجك قينارجه) في ٢١ حزيران ١٧٧٤م، تابع بكلربك[١] الروملي أيدوس محمَّد باشا (١٧٨٧-١٧٩٢م) أوضاع النمساويين بجواسيسه الذين كان يرسلهم تباعًا منذ بداية الحرب، وفي أثناء الحرب، تسبب إهمال المعلومات الاستخبارية في هزيمة الأسطول العثماني أمام الأساطيل الروسية، وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية أبلغت الساسة العثمانيين بمغادرة أسطولين روسيين بحر البلطيق نحو المياه العثمانية عبر مضيق جبل طارق، إلاَّ أنهم لم يصدقوا تلك الأخبار، لأن الروس برأيهم ليس لديهم أي نقطة ارتكاز في البحر المتوسط، واتهموا نقلة الخبر بالكذب، فلم يتخذوا أي احتياطات، ما تسبَّب في تدمير الأسطول العثماني في معركة "جيشمه" Çeşme البحرية (في المنطقة الواقعة بين الطرف الغربي للأناضول وجزيرة خيوس شمال بحر إيجة) في ٥-٧ تموز ١٧٧٠م[٢].

في عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤-١٧٨٩م)[٣] حدثت تطوراتٌ في الأنشطة الاستخبارية بدأت بجهود إداريين ماهرين، وأخذت طابعًا دبلوماسيًّا وأُديرت مركزيًّا، وتجسَّد ذلك في كثرة أعداد الجواسيس التي بلغت ذروتها خلال الحرب مع النمسا وروسيا (١٧٨٧-١٧٩٢م)، إذ كان قادة الجيش العثماني في كل من البوسنة وبلغراد وخوتين (مدينة صغيرة في غرب أوكرانيا) يتابعون

---

(١) البكلربك (أو البيلربي، أمير الأمراء): وظيفة إدارية أعلى من الوالي، يُعيَّن فيها حُكام الولايات الرئيسة، والفرق بينه وبين الوالي أن مدة ولايته مدى الحياة وله صلاحية تعيين وعزل الولاة، في حين مدة ولاية الوالي ثلاث سنوات واستُحدثت هذه الوظيفة عند اتساع أراضي الدولة العثمانية في الروملي، وانقسمت على اثنتين، بكلربكية في الروملي وبكلربكية في الأناضول. للتفاصيل عن ذلك يُنظر: صالح سعداوي صالح، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٥-٢٨٦.

(2) Çağdaş Yüksel, a. g. e., s. 63.

(3) M. Münir Aktepe, "Abdülhamid I", *IA*, c. 1, TDV, İstanbul, 1988, ss. 2134-216.

استعدادات اعدائهم من خلال جواسيس ذوي خبرة وطلاقة بلغات تلك المناطق[١].

بالتزامن مع ذلك، بدأ العثمانيون بإيلاء اهتمام كبير للاستخبارات البحرية، وكلَّفوا قباطنة السفن في مختلف الموانئ العثمانية بذلك، وبدأ دور عملائهم من يهود الدونمة[٢] يبرز، وكانت لهم شبكةٌ استخباريةٌ واسعةٌ في بولندا نشط فيها عملاء إيالة البُغدان (مولدافيا)، وإن كان بعضهم عملاء مزدوجين، مثل الكاتب والمترجم المولدافي قسطنطين ستاماتي Konstantin Stamati، (١٧٦٨-١٨٦٩م)، الذي كان عميلاً مزدوجًا خدم الفرنسيين أيضًا، فقد أوضح في تقريره إلى وزارة الخارجية الفرنسية الحاجة إلى إنشاء قنصليات في إيالتَيْ الإفلاق والبُغدان (ولاشيا ومولدافيا ــ رومانيا الحالية) في مدينتي ياش وبوخارست[٣].

كان الباب العالي يرسل مبعوثين بين الحين والآخر إلى الإيالات العربية والدول الأجنبية في بعض المناسبات، مثل التهاني وحلِّ الخلافات وإعلان الحرب وعقد السلام، فيقيمون فيها قليلاً ويعودون عند انتهاء مهامهم، وكان معظمهم

(1) Erdal Şimşek, a. g. e., ss. 47-49.

(٢) الدونمة: مفردة تركية تُطلق على أتباع شبتاي زيفي Sabbatai Zevi (١٦٢٦-١٧٦٧م) وتعني "المتحولين عن دينهم أو المرتدين عنه"، وترجع بدايات ظهور الفرقة في الدولة العثمانية إلى منتصف القرن السابع عشر، حينما ادعى اليهودي شبتاي زيفي أنه المسيح المنتظر وتبعه جمعٌ غفيرٌ من اليهود المؤمنين به، ما تسبب باضطراب كبير في البلاد دفع السلطان محمَّد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧م) إلى تخييره بين الإسلام والإعدام، فاعتنق الإسلام مُرغمًا، وأصبح اسمه "محمَّد عزيز أفندي"، ولكنه طلب من السلطان أن يسمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام، فأذن له، فانطلق يدعوهم إلى الإيمان به ويحثُّهم على اعتناق الإسلام ظاهريًّا ومبطنين الشبتائية، فسُميوا "الدونمة"، يُنظر: جعفر هادي حسن، فرقة الدونمة بين اليهودية والاسلام، ط٣، مؤسَّسة الفجر، بيروت، ١٩٨٨م.

(3) Ali Çelebi, "II. Abdülhamit döneminde Balkanlar ile ilgili istihbarat raporları", Yüksek Lisans Tezi, Ondokuz Mayıs Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Tarih Ana Bilim Dalı, Samsun, 2018, s. 29.

يدونون انطباعاتهم وما يلفت انتباههم عن تلك الدول في مذكرات، لكنهم لا يذكرون الأسباب الحقيقية لبعثاتهم، لأن نشاطهم السياسي كان من أسرار الدولة[١].

كان ولاة الإيالات العثمانية الحدودية شرقًا، وخانات القرم شمالاً، وإيالتَي الإفلاق والبُغدان وجمهورية راغوزا الإيطالية (دوبروفنيك، جنوب كرواتيا على الساحل الأدرياتيكي) ومملكة إردل (ترانسلفانيا) غربًا، يكلَّفون بتقديم المعلومات الاستخبارية للباب العالي الذي كان على اطلاع دائم بتطورات الأوضاع السياسية للدول الأوروبية من خلال مترجمي الديوان الهمايوني، وكان أولئك، وهم من أمراء اليونان المسيحيين الفناريين، على اتصال دائم مع مترجمي سفراء الدول الأجنبية في إستانبول، وينقلون إليهم الأخبار مقابل أموال وهدايا، وعن ذلك كتب عبد الرزاق باهر باشا أفندي[٢] في تقريره عن أولئك المترجمين قائلاً:

> **"إن معظم المترجمين العاملين في خدمة سفراء الدول الأجنبية هم أبناء الشعب، وهم عمومًا لا يترددون في إقامة صداقات مع كبار مسؤولي الدولة، وبالتالي يدخلون ويخرجون من قصورهم بحجة كونهم أطباء أو لأسباب أخرى، ولاسيَّما أن معظمهم من أصول أجنبية، فيعتمدون على كبار رجال الدولة في إستانبول ويزورون ضيوفهم ويطَّلعون على جميع أسرارهم ويبلغونها"**[٣].

استمرت جهود الاستخبارات العثمانية في ذلك الاتجاه، وتطورت أكثر في

---

(1) Gabor Agoston & Bruce Alan Masters, *Encyclopedia of the Ottoman Empire*, Facts on File, New York, 2009, p. 203.

(٢) عبد الرزاق باهر بن قسطموني باشا الرومي العثماني (ت. ١٧٨٠م)، رئيس الكُتَّاب منذ كانون الثاني ١٧٧٢م، والوالي المعروف باسم "طاوقجي زاده". محمَّد طاهر البروسوي، المؤلفون العثمانيون، ترجمة: سيد باغجوان وآيدن قضاة وشهاب الدين قيردار، تحقيق: محمَّد علي يكتا سراج، مطبعة أنقرة، أنقرة، ٢٠٢٣م، ج١، ص٥٦.

(3) Gültekin Yıldız, a. g. e., s. 334.

عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م)[١] الذي أدخل مجموعة إصلاحات في ميادين مختلفة، ولاسيَّما العسكرية والاستخبارية التي كانت لها الأولوية، وبسبب تأثره بالغرب (بفضل طبيبه الفلورنسي لورينزو نوكرولا Lorenzo Noccrola)، استقدم مهندسين وضباطًا أوروبيين لتدريب العثمانيين على المناهج الحديثة في إدارة الدولة، لأن الباب العالي كان يواجه أزمات وحركات تمرد في كلٍّ من الروملي والجزيرة العربية، مثل الحركة الوهابية والمناطق الكردية وأذربيجان، ومع بلاد فارس وروسيا[٢].

على الرغم من جميع تلك الجهود، بقيت الأنشطة الاستخبارية العثمانية قاصرةً وبعيدةً عن التنظيم، ولكن كان هناك اعتقادٌ قُبيل عصر التنظيمات أن تنفيذها بالطرق التقليدية أمرٌ صعبٌ، وبرزت الحاجة إلى تنظيم حديث، إذ أصبح تدريب الجواسيس الخاصين واستخدامهم ضرورةً ملحَّةً بسبب التغيرات التي شهدها العالم آنذاك في الميادين العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية كافَّة[٣].

أدت الحركات الفكرية التي واكبت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وما أعقبتها إلى اختلال توازن القوى الأوروبية، ولم يعد بمقدور الباب العالي التعامل مع أعدائه بمفرده، فاضطُرَّ إلى اتباع سياسة سلمية تجاه تلك القوى، وبدأ بإرسال سفراء مقيمين إقامة دائمة إليها منذ عام ١٧٩٢م لمتابعة التطورات فيها، وكان ضعف الاستخبارات العثمانية، ووقوع الإفلاق والبُغدان وقسم من صربيا والمترجمين العثمانيين تحت النفوذ الروسي، من الأسباب التي أرغمت العثمانيين على فتح تلك السفارات[٤].

---

(1) Kemal Beydilli- Nuri Özcan, "Selim III", IA, c. 36, TDV, İstanbul, 2009, ss. 425-426.

(2) Ahmet Yüksel, *Rusların Kafkasya'yı İstilası ve Osmanlı İstihbarat Ağı*, Dargah Yayınları, İstanbul, 2014, s. 43.

(3) Emre Gör, "Jurnaller Üzerine Bir Tarihyazımı Denemesi: Kırımî-Zâde Neşet Efendi Örneği", *Yıldız Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi*, C. 1, sy. 1 (Mayıs 2017), ss. 148-158.

(4) Gültekin Yıldız, a. g. e., s. 348.

كانت ثقة السلطان تجاه بعض السفراء المقيمين مهزوزةً، إذ كانوا يقيمون في أوروبا ثلاث سنوات يُستبدلون بعدها، باستثناء المترجمين اليونانيين الذين كانوا يرافقون مسؤولين مسلمين بصفة "سر كاتبي"(١) وضباط أركان (ملحقين أو كُتَّاب بالسفارة)، وفي عام ١٧٩٣م عُين سفراءٌ مقيمون في كل من بريطانيا وفرنسا وبروسيا والنمسا، ليبدأ بذلك عصر جديد في النشاط الاستخباري العثماني(٢).

قام السفير المقيم في ڤيينا إبراهيم عفيف أفندي (الخطَّاط، ١٧٩٧-١٨٠٠م)(٣) بأول نشاط دبلوماسي ذي طبيعة استخبارية حينما أبلغ الباب العالي بمعاهدة سلام كامبو فورميو Campo Formio بين نابليون بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) والنمسا في ١٧ تشرين الأول ١٧٩٧م، وتدخَّل في إقالة الوزير المفوض

(١) سر كاتبي أو كاتب السر: أحد أغوات الغرفة الخاصة، وهو الكاتب الخاص بالسلطان. للتفاصيل، يُنظر: صالح سعداوي صالح، المصدر السابق، ج٢، ص٧١١.

(٢) في عام ١٧٩٣م افتتحت أول سفارة عثمانية دائمة في لندن في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) وعُيِّن يوسف أغا أفندي أول سفير دائم فيها، وبدأت الدبلوماسية العثمانية تعتمد مبدأ التمثيل الدائم والمعاملة بالمثل، وكان للسفراء العثمانيين دورٌ مهمٌّ في "تغريب" الدولة والتعجيل بالإصلاحات وذلك بنقل مظاهر التطور إليها، وفي إطار ذلك، افتُتحت مدرسة الترجمة في عهد السلطان محمود الثاني الذي قرر تحويل رئاسة الكتبة إلى نظارة في عام ١٨٣٦م. ج. ر. روزفلت، الدبلوماسية العثمانية وسياسية التجديد، ترجمة: عزيز نوري اللحام، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٩-٩٢.

(٣) إبراهيم عفيف أفندي الخطاط: كاتب تركي ولد في إستانبول، تدرب في أقسام الديوان وأصبح كاتبًا برتبة كتخدا خاص، في عام ١٧٩٥ عُيِّن سفيرًا في ڤيينا حتَّى عام ١٧٩٨م، وبعد عودته عمل كاتب مدفعية، ثمَّ أصبح محاسبًا في الأناضول عام ١٨٠٦م، وفي عام ١٨٠٨م أصبح أمينًا للحسابات، توفى فجأة في ٣٠ أيار ١٨٩٣م، دُفن بالقرب من تكية كجك أمير في أيوب. يُنظر:
Talip Mert, "Hattat Afif İbrahim Efendi", *FSM İlmî Araştırmalar İnsan ve Toplum Bilimleri Dergisi,* Fatih Sultan Mehmet Vakıf Üniversitesi, Sy. 9, Bahar 2017, ss. 313-331.

الإسباني لدى الباب العالي خوان بوليني (١٧٧٩-١٧٩٣م)[١]، الذي كان يقوم بأنشطة سرية لمصلحة فرنسا في إستانبول[٢].

كانت أهم مهام السفراء الدائمين جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن البلدان التي عملوا فيها، وعمل بعضهم في التجسس مقابل بعض الأموال، غير أن عمل السفارات الدائمة فشل في أواخر القرن الثامن عشر ولم يعد مثمرًا كما كان بسبب قلَّة الخبرة السياسية وضعف الإلمام باللغات الأجنبية لدى معظم السفراء، ما دفع الباب العالي إلى الاستعانة بالمترجمين اليونانيين، وبالتالي تسريب أهم أسرار الدولة إلى وزارات خارجية الدول الأجنبية[٣].

كان القائمون بأعمال السفارات الدائمة يديرون سفارات الباب العالي في كل من لندن وڤيينا وبرلين منذ عام ١٨٠٠م، وعندما تبيَّن أنهم كانوا يقدمون معلومات خاطئةً، قام السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)[٤] بإغلاقها مؤقتًا في عام

(١) خوان فنتورا بوليني Juan Ventura Bouligny، (١٧٢٦-١٧٩٨م): تاجر ودبلوماسي وأول مبعوث إسباني إلى إستانبول، كُلف بالتفاوض لبناء علاقات إسبانية ــ عثمانية لإنهاء الحرب الإسبانية ــ الجزائرية والهجمات من شمال أفريقيا على التجارة والموانئ الإسبانية، وخلال عمله في إستانبول عام ١٧٧٩م أبرم اتفاقًا مع العثمانيين في ١٤ أيلول ١٧٨٢م، وعُيِّن مبعوثًا فوق العادة ووزيرًا مفوضًا لإسبانيا لدى إستانبول، وعمل على إنشاء شبكة قنصلية إسبانية داخل الدولة العثمانية وأسَّس مدرسة لتدريب الأولاد الإسبان على اللغة والثقافة التركية للعمل في الترجمة، وانتهت مهمته في إستانبول عام ١٧٩٣م.

Ayşe Çiçek Ünal, "The First Spanish Ambassador to the Sublime Porte: Juan de Bouligny and His Early Activities in İstanbul Based on His Diary", MA thesis, Şehir University, İstanbul, 2015.

(2) Talip Mert, a. g. e., ss. 313-331.

(3) Mevlüde Gökçen Daş Darıcı, "Osmanlının İstihbarat Faaliyetleri (1300-1750)", Doktora Tezi, Sivas Cumhuriyet Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Bölümü, Sivas, Ekim, 2018, s. 9.

(4) Kemal Beydilli, "Mahmud II", *IA*, c. 27, TDV, Ankara, 2003, ss. 352-357.

١٨٢١م، رغم دورها الكبير في تحديث الدولة التي تعلمت منها فنون الدبلوماسية الدولية واللغات الأجنبية[١].

في عهد السلطان نفسه زاد عدد الجواسيس المتنكرين من آغوات القسم الداخلي لجناح الحرملك (الإندرون)، إذ يخرجون أحياناً للعامة لجمع المعلومات، واستُخدم الإنكشارية لجمع الأخبار في إستانبول وضواحيها، ولأنهم كانوا أهم قوة عسكرية، خدموا بصفة شرطة عسكرية وتولوا مهام ضمان الأمن الداخلي[٢].

كانت أولى خطوات السلطان محمود الثاني بعد القضاء على الجيش الانكشاري في ١٥ حزيران ١٨٢٦م تنظيم النشاط الاستخباري بتعيين خسرو باشا (١٧٦٩-١٨٥٥م) بمنصب "سر عسكر" (نيسان ١٨٢٧-١٨٣٦م)، فأنشأ شبكة تجسُّس داخليةً لكشف وقمع الحركات المعارضة لمشروع التحديث، عُهدت إدارتها إلى نظارة (وزارة) الضبطية[٣] باسم "تجسسي أحوال"، وكان فيها صنفان من

(1) Ekrem Buğra Ekinci, *Sultan Abdülhamid'in Memleketi Saran İstihbarat Ağı*, Osmanlı Yüksek Enstitüsü, İstanbul, 2015, s, 78.

(2) Emrullah Tekin, "Hafiy", *İA,* c. 15, TDV, İstanbul, 1994, s. 115.

(٣) الضبطية: هيأة عثمانية كانت تتولى مهام الشرطة والأمن العام والمخافر تأسَّست بموجب أمر صدر في ٣١ آذار ١٨٤٥م داخل مبنى القيادة العسكرية العامَّة، وتحول اسمها إلى "مشيرية الضبطية" (ضبطية مشيريتي، مشيرية الشرطة) في ٤ كانون الأول ١٨٤٦م، وكان لها كادرٌ واسعٌ من الشرطة والدرك ويُعرف الواحد منهم باسم "ضبطية نفري"، أي جندي الضبطية، ويقود المشيرية ضابط برتبة مشير (فريق)، كان يتبع القائد العسكري العام (السر عسكري)، وفي عام ١٨٦٩م حُولت إلى جهاز مستقل، وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٨٧٩م، تأسَّست شرطة الضبطية (الخاضعة لإدارة مدنية)، واستمرت طوال العهد الحميدي حتَّى أُلغيت وأُنشئت مديرية الأمن العام محلها في ٤ آب ١٩٠٩م. للتفاصيل يُنظر: صالح سعداوي صالح، المصدر السابق، ص٨٣٥. ويذكر المؤرِّخ التركي إمره غور أن جهاز الشرطة العثماني تأسَّس في ١٠ نيسان ١٨٤٥م (ويقول إن هذا هو التاريخ الرسمي لتأسيسه)، إلاَّ أن الباحث علي برينجي يذكر أن ذلك التاريخ غير صحيح بسبب خطأ وقع في أثناء تحويله إلى التقويم الميلادي، وأن التاريخ الصحيح هو ٢٠ آذار ١٨٤٥م. يُنظر:
Emre Gör, *Abdülhamid Döneminde İstihbarat: Mutlakıyetten Meşruiyete İmparatorluğun Haber Alma Faaliyetleri 1876-*

الموظفين: دائمون ويطلق عليهم اسم "الخواص"، ويعملون تحت إدارة الشرطة وملتزمون بالدوام لدى الدولة، ومؤقتون عند الحاجة، غير ملزمين بالدوام، وكان يُصرف لكل منهم أجرة التنقل ويُمنحون أجورًا يومية تتراوح بين ١٠-٢٠ قرشًا(١).

في منتصف القرن التاسع عشر كانت حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦م)(٢) أهم حدث عسكري في عهد السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١م)(٣)، فاستلزمت إرسال جواسيس إلى مناطق الحدود من أرضروم (شمال شرق تركيا)، وكُلِّفوا بالتحقيق في أوضاع الروملي وشبه جزيرة القرم وباطوم وصربيا ويانيه (يوانينا، وتضم اليوم جنوب ألبانيا ووسط وشمال اليونان) ويكي شهير، والقضاء على الحركات التخريبية، مثل قطع الطرق وقمع حركات التمرد(٤).

بعد حرب القرم، زادت الحكومة العثمانية عملاءها في الخارج، وباقتراح من السفير البريطاني في إستانبول ستراتفورد كاننغ Stratford Canning (١٨٤١-١٨٥٨م)، إلى الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا(٥)، أُنشئ تنظيمٌ استخباريٌّ

=*1909*,Kitap Yayınevi, İstanbul, 2019, s. 225; Ali Birinci, "Türk Emniyet Teşkilatında İlkler", *Polis Bilimleri Dergisi*, c. 1, sy. 3 (1996), ss. 9-16.

(1)Taner Timur, "Osmanlı Gizli Polis Örgütü Nasıl Kuruldu?", *Tarih ve Toplum*, c. 1, sayı. 6, Haziran 1984, ss. 416-418.

(٢) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية: المرحلة الأولى (١٧٧٤-١٨٥٦م)، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٠م، ص١٥٦-٢٠٧؛ ط٢، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٥م، ص١٤١-١٧٥.

(3) Cevdet Küçük, "Abdülmecid", *IA*, c. 1, TDV, İstanbul, 1988, ss. 259-263.

(4) Remzi Güney, "Geç Osmanlı Döneminden Cumhuriyet Dönemine İstihbarat Teşkilatlarının Tarihsel Operasyonları ve Polis İstihbaratının Tarihi", Yayınlanmamış Yüksek lisans tezi, Kırıkkale, Kırıkkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2008, s. 8.

(٥) مصطفى رشيد باشا (١٨٠٠-١٨٥٨م): سياسي ومصلح عثماني، تولى منصب الصدارة العظمى عدة مرات: (آذار ــ آب ١٨٥٢م)، (تشرين الثاني ١٨٥٤- أيار=

سريٌّ حديثٌ يديره يونانيون، على غرار تنظيم الشرطة السرية الفرنسية، لمراقبة الانتفاضات المحتملة في الروملي، ولكنه لم يحقق الغاية المرجوة منه، فأُغلق، ثمَّ أُعيد فتحه في عام ١٨٦٣م، في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م)[١].

في أيلول ١٨٧١م ظهرت في السجلات العثمانية عبارة "الجورنالجية"، أي الجواسيس، ففي سجل يعود إلى ذلك التاريخ نقرأ عن تعيين ١٥ "جورنالجيًّا" (جاسوسًا)، تسعة منهم للأناضول وستة للروملي بصفة "مخبر"، تختارهم دوائر تمثل مجلس الدولة، وكان أهم ما في السجل تعريف مهام الخَفْيَة بقوله: "هناك ضباط يبلغون عمَّا يرونه من أحداث عن ثورة الولايات والرعايا ويرسلوها إلى الباب العالي في كل شهر أو شهرين"[٢].

طوَّر السلطان عبد العزيز النشاط الاستخباري في عام ١٨٧٤م بفتح الكثير من القنوات في أنحاء الدولة كافَّة[٣]، والتي تحولت إلى أداة لخدمة المصالح الخاصة بسبب تدخل رجال الدولة فيها، ولاسيَّما الصدور العِظام والولاة، ما أعاق الدولة عن إدارة شؤون الاستخبارات الداخلية، ونتيجةً لتطورات داخلية وخارجية، تفاقمت الصراعات بين الساسة وقادة الجيش[٤]، ما دفع ابن أخيه السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) إلى إنشاء "جهاز استخبارات يلدز" بمساعدة خبراء ألمان، وقد أوضح في مذكراته سبب إنشائه، قائلاً:

=١٨٥٥م)، (كانون الأول ١٨٥٦- آب ١٨٥٧م)، (تشرين الأول ١٨٥٧- كانون الثاني ١٨٥٨م). ينظر:

Recep Yılmaz, "Mustafa Reşid Paşa (Büyük)", *OA*, c., 2, Yapı Kredi Kültür Sanat Yayıncılık, İstanbul, 1999, ss. 318-322.

(1) Mevlüde Gökçen Daş Darıcı, a. g. e., s. 13.

(2)Mehmet Zeki Pakalın, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü*, Millî Eğitim Bakanlığı Yayınları, İstanbul, 1993, c. I, s. 311.

(3) Cevdet Küçük," Abdülaziz", *IA*, c. 1, TDV, İstanbul, 1988, ss. 179-185.

(4) Mevlüde Gökçen Daş Darıcı, a. g. e., s. 13.

"لإحاطة السلطان بما يفكر فيه رعاياه وما لديهم من شكاوى من ولاته وقضاته، ولتلقي أخبار من المشايخ والدراويش والزوايا، ولتسهيل حكم البلاد، قام جدي السلطان محمود الثاني بتوسيع الاستخبارات بإضافة الدراويش الرحَّالة إلى هؤلاء، وأنا كذلك"(١).

يتَّضح ممَّا سبق أن جهود التجسُّس والاستخبارات العثمانية لم تقتصر على مؤسَّسة واحدة ومجال واحد، بل تعددت مهامها ومؤسساتها، بحيث كان من الصعب تحسين الواقع الاستخباري العثماني إلاَّ بإنشاء جهاز خاص يخضع لإشراف السلطان مباشرةً، وهو ما قام به السلطان عبد الحميد الثاني كما سيتبيَّن.

(1) Ekrem Buğra Ekinci, a. g. e., s. 79.

المبحث الثاني
مصادر التجسُّس وصنوف الاستخبارات العثمانية حتَّى عام ١٨٨٠م

تعددت مصادر التجسُّس وصنوف الاستخبارات العثمانية وتنوعت بحسب الظروف والمهام والمناطق الجغرافية سواءً في داخل الدولة العثمانية أو خارجها، ويمكن تصنيف أبرزها على النحو التالي:

أولاً: الجواسيس

هم فرقةٌ استخباريةٌ أمنيةٌ تسمَّى "الجواسيس" كانت تعمل في خارج الدولة العثمانية، وكان لها دورٌ مهمٌّ في رفدها بالمعلومات، وتعدُّ من أنشط العناصر الاستخبارية وأقواها منذ تأسيس الدولة حتَّى زوالها، ولاسيَّما في حالات الاستطلاع ونقل المعلومات عن العدو في ميادين المعارك ورسم السياسات الداخلية والخارجية(١).

كان الجواسيس العثمانيون يتسللون إلى المنطقة المستهدفة عبر طرق ووسائل مختلفة، مثل تغيير مظهرهم وهويتهم، أو ممارسة التجارة أو غيرها من المهن والحِرف، فيتنكرون في زي التجار أو رجال دين في المنطقة المستهدفة وما إلى ذلك(٢).

ثانيًا: التنظيمان الاستخباريان (مارتولوس وودينوق)

تنظيمان عسكريان مكونان من مسيحيين أرثوذكس، تأسَّسا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر بعد فتح القسطنطينية، إذ استعان العثمانيون بهما في معظم مهامهم الاستخبارية والعسكرية في الروملي، مثل التجسُّس وحراسة القلاع

(1) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 340.
(2) Erdal İlter, "Osmanlilarda Istihbarat (XIV.-XX. Yüzyillar)", *Avrasya Dosyasi*, c. VIII, sy. 2 (2002), ss. 233-253.

وما إلى ذلك، لتوفير القوة العسكرية اللازمة وفي مراقبة مناطق الحدود لخبـــرتهم بتضاريسها وإتقانهم أكثر من لغة أجنبية، وقدرتهم على التنقل بسهولة بـــين أبنـــاء جلدتهم دون إثارة شكوك(١).

إن مفردة "مارتولوس" مشتقةٌ من المفردة اليونانية آرماتولوس Armatolos، أي "الرجل المسلح" أو "رجل الميليشيا"، ولأنها التسمية الأصلية للمسيحيين في الجيش العثماني، أصبحت تشمل مختلف الجماعات العسكرية والأفراد المسيحيين، واستعملها العثمانيون للإشارة إلى الجواسيس المسيحيين ورواد الطرق والرسل وقوارب الدانوب وحراس القلاع والمتمردين المسيحيين، وفي القرن السادس عشر كانت تلك المفردة تُطلق على قوات الشرطة والأمن المحلية في الروملي، ولاسيَّما الجبل الأسود والمورة (جنوب اليونان) التي ينتشر فيها قُطَّاع الطرق، وعلى الرغم من أن معظمهم كانوا في البداية من الرعايا المسيحيين، إلاَّ أنهم بمرور الوقت اعتنقوا الإسلام، وفي مقابل خدمتهم العسكرية، مُنحوا وضعًا مميزًا بين الرعايا بصفة عسكريين، وكان معظم قادتهم من المسلمين يحملون تسمية "مارتولوس باشي"، وهو منصبٌ وراثيٌّ يُعفى صاحبه من الجزية والضرائب المحلية(٢).

بعد فتح القسطنطينية في عام ١٤٥٣م استُخدم المورتولوس بصفة شرطة مسلحة، وعادةً ما كانوا يشكلون دوريات حدوديةً وحراس قلاع وطرق استراتيجيةً (دربند) يعملون في إزالة الألغام وجباة ضرائب في أوقات السلم، أو بصفة مقاتلين في الحروب بحسب الحاجة، وخلال عهد السلطان سليمان، أوكلت إليهم مهامٌ أمنيةٌ مختلفةٌ في شمال غرب البوسنة وأجزاء من كرواتيا والمجر العثمانية وعاصمتها بودا، مثل حراسة الحدود والقلاع والمشاركة في الحملات العثمانية المختلفة في أوروبا، وغالبًا ما كانوا يُكلَّفون بنقل المعلومات العسكرية والأمنية الخاصَّة، فكانوا

(1) Ercan, Yavuz, *Osmanlı İmparatorluğunda Bulgarlar ve Voynuklar*, TTK Basımevi, Ankara, 1989, ss. 4, 11, 75, 96.
(2) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 353.

يختلطون بأهالي البلدان والمناطق المعادية ويُظهرون لهم قوة العثمانيين وتفوقهم ويحذروهم من محاولة إضعاف معنوياتهم وزعزعة الأمن العام(١).

وبعد اشتداد العداء المسيحي المحلي في الروملي في نهاية القرن السابع عشر، ضعفت ثقة الدولة بهم وأعفتهم من العمل بصفة شرطة أمن محلية في عام ١٦٩٢م، لكنها عادت وألحقتهم في شرطة الأمن المحلية عام ١٧٢٢م، واستمر نشاط بعضهم في شمال مقدونيا حتَّى القرن التاسع عشر(٢).

أمَّا "الوينوق"، فقد سُمُّوا بذلك نسبةً إلى سنجق وينوق، وهو مصطلحٌ يشير عادةً إلى بعض سكان البلقان، ولاسيَّما البلغار، وهم تنظيمٌ اجتماعيٌّ وعسكريٌّ مسيحيٌّ تأسَّس في عام ١٣٧٠م، في مناطق الروملي (مثل جنوب صربيا ومقدونيا وثيساليا وبلغاريا وألبانيا والبوسنة ومنطقة الدانوب)، وكانوا معفوين من الضرائب أيضًا، وكان أفراده يُجنَّدون في الأراضي السلافية الجنوبية وكلفوا في البداية بالدفاع والأمن، ثمَّ استُخدموا كوحدات نقل مساعدة، وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر أصبحت الوثائق العثماني تشير إليه لتعني البلغار، وكان ترتيبهم الهرمي كالتالي: وينوق سنجق بك، فوينوق بك، تشري باشي، شيشة، مرشِّح(٣).

تعود أصول ذلك التنظيم إلى طبقة نبلاء الروملي في العصور الوسطى، وخلال القرن الرابع عشر دخلوا في خدمة العثمانيين الذين سمحوا لهم بالاحتفاظ بممتلكاتهم لضمان ولائهم وتسهيل فتوحاتهم الجديدة بسهولة، وفي البداية كانت مهمتهم الرئيسة حراسة الحدود العثمانية في بلغاريا ومقدونيا عبر الدوريات أو التوغل في أراضي العدو، وأصبحوا فيما بعد قوات مساعدةً وفَّرت وسائل النقل والخيول للقوات العثمانية في حملاتها(٤).

(1) Cemile Kara, a. g. e., ss. 2-3.
(2) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 353.
(3) Ibid.
(4) Ömer Turan, *The Turkish Minority in Bulqaria, 1878-1908*, Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara, 1998, p. 26.

كان السلطان مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١م)[١] قد أمر باستخدامهم في رعاية خيول الجيش وخيول كبار الوزراء ورجالات الدولة في أثناء المعارك، أمَّا في زمن السلم فكانوا يستخدمون في الاسطبل الخاص والاهتمام بالمراعي والمروج، وكان هؤلاء على قسمين: عساكر (وينوق) الحرب (سفر وينوقلرى)، وعساكر وينوق المروج (چاير وينوقلرى)، وكان يُطلق على ضباطهم اسم (وينوق بكى)، أي أمير الوينوق، وعندما لا يشتركون في الحرب ينشغلون بالزراعة في حقولهم، وهم مُعفَون من الضرائب العرفية والشرعية والعوارض (ضرائب الطوارئ)، وخلال القرن السادس عشر كان هناك نحو أربعين ألفًا منهم في بلغاريا سُجِّلوا كأكبر جماعة عسكرية هناك، لكن ذلك التنظيم أُلغي في كانون الثاني عام ١٦٩١م، وأصبحوا مكلفين بدفع الضرائب مثل بقية الأهالي، ثمَّ أعيد تشكيلهم في عام ١٦٩٣م، غير أن قانونهم تغير بعد القرن السابع عشر، وكلفوا بدفع بعض الضرائب واستمر تشكيلهم حتَّى عام ١٨٧٨م[٢].

ارتبطت نشاطات ذينك التنظيمين مع شبكة الاستخبارات العثمانية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر بفضل خبرتهما بجغرافية الروملي ومعرفتهما بأكثر من لغة أجنبية، ما يعني أنهما يستطيعان التنقل بسهولة بين غير المسلمين، وكان المسافرون القادمون برًّا أو بحرًا من الدول والمناطق المعادية أو المجاورة أو المضطربة إحدى قنوات المعلومات المستخدمة في نشاطهما الاستخباري، وكانت هناك مراكز الشرطة (كارافول) ومرشدون يستخدمون بصفة كشافة قبل شن أي حرب، وفي أثناء المعارك البحرية كانت زوارقهما تُستعمل لمراقبة تحركات الأعداء، ولاسيَّما في الليل، ولإبلاغ الإدارة البحرية العثمانية بآخر المستجدات والتحركات العسكرية[٣].

---

(1) Halil Inalcik, "Murad II", *IA*, c. 31, TDV, Ankara, 2020, ss. 164-172.

(٢) صالح سعداوي صالح، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٨٥-١٣٨٦.

(3) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 340.

ثالثًا: يهود الدونمة (المتحولون) والنساء

كان يهود الدونمة مخبرين محليين وكانوا يغيِّرون ملابسهم ويخفون هوياتهم ويقدمون ملاحظاتهم وتحقيقاتهم نتيجة رحلاتهم التحقيقية والبحثية إلى العاصمة على شكل تقارير، وكان العثمانيون يسمونهم "المتحولون"، في حين كانت تسمية "جواسيس" تُطلق على العاملين منهم في الخارج، وقد تأسَّس ذلك الصنف في عهد السلطان محمود الثاني، وإلى جانب ذلك كانت النساء المجريات المتزوجات من عثمانيين أتراك يعملن في التجسس، وكنَّ يحمين أبناء جلدتهنَّ المسيحيين من خلال إخبارهم بخطط العثمانيين عن المجريين(١).

رابعًا: المتنكرون (البدائل)

مع ظهور الحركات الانفصالية في القرن التاسع عشر عززت الدولة العثمانية أمنها الداخلي بتطوير نشاطها الاستخباري واستحدثت صنفًا استخباريًّا محليًّا جديدًا عرف باسم "المتنكرين"، وكانت تسجل أسماءهم وأوصافهم الجسدية والدول التي سيعملون فيها والزي التنكري المخصص لهم، فكان المرسلون من فروع الروملي يتنكرون في زي البوشناق (البوسنيين) والألبان، بينما يرتدي المرسلون في اتجاه طرابزون (شمال شرق الأناضول) أزياء اللاز(٢).

كانت هناك زيادةٌ في عدد الجواسيس المتنكرين، ومنهم المدعو إسماعيل آغا الذي قام بعمليات استخبارية في الروملي عام ١٨٢٥م بعد زيارة كل من المورة

---

(1) Sandor Takats, *Macaristan Türk Aleminden* Çizgiler, (çev. Sadrettin Karatay), Milli. Eğitim Basımevi, İstanbul, 1992, ss. 199-200.

(2) Ümit Özdağ, "Devlet ve İstihbarat", *Beykent Stratejik Üniversitesi Arastrmialar Derqeci*, c. 1, sy. 3, 2009, s. 49.

واللاز أو لازي، جماعة عرقية من شعوب شواطئ البحر الأسود، كانوا من أوائل معتنقي المسيحية هناك، لكن معظمهم اعتنق الاسلام خلال الحكم العثماني للقوقاز في القرن السادس عشر. للتفاصيل يُنظر: عبد الملك مرتاض، "عناصر التراث الشعبي في اللاز: دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٧م.

وإزدين وشيرمين، ثمَّ عاد إلى إستانبول، وقدم تقريره السري عن وضعها الأمني والتمويني وعدد الجنود ومواقف المسؤولين وتصرفاتهم هناك، ومشاعر الناس تجاه الحكم العثماني(١).

خامسًا: أسرى الحروب (اللغة)

اعتمدت الإمارة العثمانية الناشئة منذ عهد أورخان غازي على المؤسَّسة العسكرية، ومع توسعها أخذت بتنويع مصادرها الاستخبارية التي كان الأسرى أحدها، وكان الأسير يسمَّى "لغة"، وكان أخذ المعلومات منه أو استجوابه يسمَّى "أخذ لغة"، لأن المفردات والمعلومات أُخذت من أفواههم أو سُرقت من ألسنتهم، غير أن ذلك الأسلوب تراجع في العهود الأخيرة(٢).

كان العثمانيون يستولون على المراسلات والتقارير بين قادة الجيوش التي غالبًا ما كانت تتضمَّن معلومات فنيةً وعسكريةً مهمَّةً، وعدَّوها نشاطات استخباريةً وظفوها لأغراض عسكرية(٣).

سادسًا: التجار

استخدم العثمانيون التجار في الاستخبارات أيضًا، لقدرتهم على التحرك داخل البلدان المجاورة بحُرية، وكانوا من قنوات المعلومات المهمَّة بحكم مهنتهم التي مكنتهم من معرفة ما لم يكن بالإمكان الحصول عليه عبر القنوات الأخرى(٤).

خلال حكم السلطان مراد الأول كانت الدولة العثمانية تساعد تجار البندقية وتتلقى منهم معلومات وأخبارًا عن الملوك وسياساتهم والمخاطر المحتملة، وكذلك

(1) Ümit Özdağ, a. g. e., 47.
(2) Ahmet Yadi, "II. Abdülhamid Döneminde Çift Yönlü Bir Casus: Bernard Maimon ve Babıali'den Çalınan Evraklar", in: Melek Özyetgin *et al* (eds.), *Sultan II. Abdülhamid ve Osmanli Modernleşmesi*, c. III, Yildiz Teknik Üniversitesi, İstanbul, 2022, s. 428.
(3) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 131.
(4) Osman Köse, *Osmanlı'dan Günümüze Eşkiyalik ve Terör*, İlkadım, Samsun, 2009, s. 89.

استعان السلطان سليمان القانوني بالتجار أو الجواسيس المتنكرين لمعرفة أوضاع الروملي، ما يعني أن تأثيرهم داخل الاستخبارات العثمانية كان مهمًّا في صنع القرار السياسي والعسكري العثماني(١).

سابعًا: الرسل

اعتمدت الدولة العثمانية على مخاطبة دول العالم ونقل المعلومات الرسمية إليها على البريد أو الرسل الذين ساهموا في النشاط الاستخباري وإعداد التقارير الأمنية والسياسية، إلاَّ أن نشاطهم داخل الاستخبارات العثمانية لم يقتصر على ذلك، بل كانوا يُكلَّفون بجمع معلومات بشكل شخصي أيضًا، بحيث يمكن وصفهم بأنهم ضباط استخبارات(٢).

أولى العثمانيون أهميةً للاتصالات والخدمات البريدية، وكان للطرق أهميةٌ اقتصادية واجتماعية وعسكرية، لأن نقل الجيوش من مكان إلى آخر وتوفير الاتصالات بين العاصمة وأطراف البلاد كان مهمًّا في مجال الاتصالات، ودفعت فكرة السرعة في إيصال الأخبار العثمانيين إلى تطوير أساليب اتصال جديدة، ومنها الاتصالات عبر أشخاص داخل تنظيم يدعى "المرسلون" أو "أولاق" والنُزُل أو الخان "منزلخانه" و"تتار"، وكان الرسل يُختارون من بين "الشرفاء"، أي الأشخاص الموثوق بهم(٣)، وقد أجرى الصدر الأعظم لطفي باشا (١٥٣٩-١٥٤١م) إصلاحات كثيرةً في تلك المنظومة بإنشاء قنوات استخبارية في جميع أنحاء البلاد، واستخدم تتار القرم في تنظيم الرسل(٤).

---

(1) Melek Özyetgin, a. g. e., s. 76.
(2) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 128.
(3) Mehmet Ali Beyhan,"II. Abdülhamid Döneminde Hafiyye Teşkilâtı ve Jurnaller", *Ilmi Araştırmalar*, sy. 8, Istanbul, (Ocak 1999), s. 66.
وأُعيد نشره في:
Türkler, c. 12, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, (1999), ss. 598-616.
(4) Cengiz Kırlı, "Kahvehaneler ve Hafiyeler: XIX. Yüzyıl Ortalarında Osmanlı'da Sosyal Kontrol", *Toplum ve Bilim*, Kış 1999-2000, s. 58.

ثامنًا: المترجمون

نتيجةً للتطورات السياسية الخارجية وتوسع الدولة غربًا، اشتدت الحاجة إلى المترجمين، ما تطلَّب وجود الكثير منهم لِما لهم من أهمية نظرًا للحاجة إلى إقامة علاقات مع الدول الأخرى عبر موظفين حكوميين يتحدثون لغات أجنبيةً[١].

نظرت الإدارة العثمانية إلى عمل المترجمين على أنه عملٌ استخباريٌّ، فجندت الكثير منهم في اداراتها، ولاسيَّما العسكرية، وقسمتهم على أربعة صنوف: مترجمو القصر، مترجمو السفارات والقنصليات في الخارج، مترجمو الديوان الهمايوني، ومترجمو المؤسسات العسكرية والتعليمية[٢].

يُذكر أن الكثير من المترجمين جُنِّدوا في استخبارات الدولة، وكانت لهم مكانةٌ مهمَّةٌ في مؤسساتها لِما لهم من دور كبير في ترجمة الكتب السرية والرسائل الدبلوماسية والحوارات الشخصية لأسرى الحروب بين العثمانيين وأعدائهم، ولذلك أفادت الإدارة العثمانية منهم في معظم الأمور الدبلوماسية والعسكرية والسياسية، مثل مؤتمر ڤيينا (أيلول ١٨١٤- حزيران ١٨١٥م)، وثورة المورة عام ١٨٢١م[٣].

كان تزايد الحاجة إلى المترجمين نتيجة تزايد الاتصالات بين الباب العالي والغرب يؤدي إلى نشوء أزمات بعد كشف خيانة بعضهم، وشجَّع الباب العالي تعلم اللغات الأوروبية بين العثمانيين بافتتاح غرفة أو دائرة الترجمة (ترجمه أوده سي) في عام ١٨٢١م لتعليم اللغات الأوروبية للشباب[٤].

---

(1) Agoston & Masters, Op. Cit., s. 124.
(2) Ahmet Yüksel, *Sınırdaki Casus: Osmanlı Topraklarında Bir Rus Ajanı Kafkasyalı Mehdi Kulu Şirvani*, Kronik, İstanbul, 2019, s. 11.
(3) A. g., s. 13.
(4) Erdal İlter, *Millî İstihbarat Teşkilâti Tarihçesi Millî Emniyet Hizmetleri Riyaseti, M.E.H./Mah (1927-1965)*, Millî İstihbarat Teşkilâtı Müsteşarlığı, Ankara, 2002, s. 6.

تاسعًا: الدبلوماسيون الأجانب

حدث انفراجٌ في العلاقات الدولية في مطلع القرن التاسع عشر، ولاسيَّما بعد مؤتمر ڤيينا، نتيجةً للتغير الواضح في ميزان القوى الأوروبي الناجم عن الثورة الفرنسية وتداعياتها، وازداد التعاون الاستخباري بين الساسة العثمانيين والدبلوماسيين الأجانب في إستانبول، وتطلب ذلك وجود شبكة استخبارية سليمة وقوية، وكان للعثمانيين جواسيسٌ مرتبطون بالعاصمة ارتباطًا مباشرًا ويعملون في المدن الأوروبية باستمرار(١).

تزايد التعاون بين الاستخبارات العثمانية والدبلوماسيين الأجانب نتيجة إدراك الأخيرين أهمية تقديم كل شاردة وواردة للباب العالي قد تكون في مصلحة بلدانهم، لكن المسؤولين العثمانيين كانوا يدركون أن المعلومات الاستخبارية من مصادر أجنبية لا تعكس الحقيقة المطلقة في المراسلات بينهم دائمًا، وشددوا على أهمية إخضاعها للتحقق والتعامل معها بحذر، واستمرَّ ذلك النهج حتَّى أواخر القرن التاسع عشر(٢)، ويؤكد ذلك ضعف الباب العالي في مواجهة التحديات، ولذلك، ونتيجةً لتزايد التغلغل الأجنبي في البلاد واشتداد الخلافات الداخلية بين كبار الساسة العثمانيين ومؤسَّسة السلطنة، بدأ توجهٌ جديدٌ لتقوية نشاط الاستخبارات وترسيخه على أسَّس جديدة وأساليب مختلفة خلال المرحلة المقبلة، لأن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى التعاون مع الدول الأوروبية للاستفادة منها في مجال الاستخبارات والتطور التقني الذي وصلت اليه، ولكن بسبب إدراك المسؤولين العثمانيين أطماع الأوروبيين في بلادهم حينذاك، كان التعامل الاستخباري معهم طوال ما تبقى من عمر الدولة يُجرى بمنتهى الحذر.

(1) Naim Ürkmez ve Uğur Akbulut, "Sultan II. Abdülhamid'in Başkâtibi Tahsin Paşa", *Belleten*, c. 86, sy. 306 (Ağustos 2022), s. 645.

(2) Agoston & Masters, Op. Cit., p. 132.

عاشرًا: الشيوخ والدراويش وضباط الانكشارية

كان شيوخ الزوايا والدراويش يُستخدمون في التجسس، وثمَّة سجلٌّ مهمٌّ للغاية يعود إلى عام ١٨٢١م لكونه أحد أقدم السجلات التي تذكر مفردة "خَفْيَة"، ورد فيه: "حيث أن [هناك] خَفْيَة معادين للإسلام يجولون بين المسلمين ويثيرون الفتنة والفساد، ونظرًا لخطورتهم، يقوم الجواسيس المعينون باعتقال وتأديب مروجي الشائعات"(١).

كذلك، كان هناك محققون تحت إشراف ضبَّاط الإنكشارية ينتشرون في الأسواق والبازارات والمقاهي وغيرها من الأماكن العامَّة في إستانبول، وكانوا يبلِّغون إلى رؤسائهم الأخبار التي تتناهى إلى علمهم، فتُنقل منهم إلى الصدر الأعظم بعد تحليلها، ولكن بعد اندثار أهمية فِرق الإنكشارية و"البستانجية"، انتقلت تلك المهمَّة إلى شيوخ الزوايا والدراويش(٢) وموظفي المابين الهمايوني(٣).

(1) Emrullah Tekin, a. g. e., s. 115.
(2) A. e.
(٣) المابين الهمايوني: دائرة بين جناح الحريم السلطاني والمكاتب الخارجية في القصور السلطانية، مهمَّتها الاطِّلاع على الامور التي يود الصدر الأعظم عرضها على السلطان. وفي عهد السلطان عبد الحميد كان لتلك الدائرة مهام أمنية واستخبارية، وهو على قسمين: المابين الكبير والمابين الصغير المكون من خدم السلطان الشخصيين. لطفي المعوش، موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، مكتبة لبنان ناشرون ــ صائغ، بيروت، ٢٠١٢م، ص٢٦٧.

المبحث الثالث
عوامل نزوع عبد الحميد الثاني نحو الحكم المطلق

أولاً: شخصية عبد الحميد الثاني وأثرها في نشوء جهاز الخَفْيَة عام ١٨٨٠م

دخل النشاط الاستخباري العثماني مرحلةً جديدةً بتولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم (١٨٧٦-١٩٠٩م)، إذ تولى الإشراف عليه بنفسه، حتَّى باتت الجاسوسية من سِمات عهده، وثمَّة الكثير من العوامل التي دفعته إلى تطوير النشاط الاستخباري وربطه به شخصيًّا، منها: طباعه وخصاله الشخصية، وشكوكه بحاشيته المقربة، والتحديات الداخلية والخارجية التي واجهتها الدولة العثمانية في عهده، ممثلةً بأطماع القوى الغربية والحركات المعادية له[١].

رغم أن هذه الدراسة ليست معنيةً بتفاصيل نشأة السلطان وشخصيته، إلاَّ أن ثمَّة ضرورةً لتوضيح أبرز ملامح شخصيته لتفسير حالة الشك والوساوس الملازمة له، وتنبغي الإجابة هنا عن تساؤل: هل كانت مخاوفه حالةً طبيعيةً أم غير طبيعية و"مَرَضية" كما انتقدها المؤرِّخون؟ في الإجابة عن هذا التساؤل ينبغي الأخذ بعين الاعتبار سعيه لحماية عرشه وأراضي دولته، فبينما رأى بعض المؤرِّخين أن لمخاوفه ما يسوغها، قدَّم آخرون صورةً قاتمةً حتَّى صوروه مهووسًا ومريضًا نفسيًّا[٢]، وللوصول إلى رأي محايد، سنعتمد تقسيم العوامل الثلاثة المذكورة لمعالجة تلك القضية.

---

(1) Mehmet Ali Beyhan, a. g. e., ss. 69-70.

(٢) مثل النمساوية ألما ستيفاني وتلن Alma S. Wittlin (١٨٩٩-١٩٩٢م)، والبريطانية جون هاسلب Joan Haslip (١٩١٢-١٩٩٤م) يُنظر: ألما وتلن، عبد الحميد ظل الله على الأرض، ترجمة راسم رشدي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ١٩٥٠م؛ جون هاسلب، السلطان الأحمر عبد الحميد، ترجمة: فيليب عطا الله، دار الروائع الجديدة، بيروت،=

كانت نشأة الأمير عبد الحميد عاملاً رئيسًا في تشكيل شخصيته الحاكمة فيما بعد، إذ اتفقت المصادر على أن ظروف طفولته حتَّى توليه الحكم (١٨٤٢-١٨٧٦م) كانت غير طبيعية، ما جعله شخصيةً جدليةً يختلف عن أسلافه وعن خلفائه، ويتَّضح ذلك فيما ذكره الكاتب اللبناني يوسف نعمان معلوف، عن خِصاله مثل: قوة البصيرة، انشغال الخاطر في كل ما يُقال عنه، الحرص الشديد على الحياة، الخوف من المقربين منه، الميل إلى البحث عن حقيقة الأشياء، وحب البقاء والانقياد بالهواجس والأوهام، الخ(١).

تؤكد الأمثلة التاريخية تلك الخصال، إذ ذكرت الكاتبة البريطانية جون هاسلب أنه كان يسترق السمع من خلف الأبواب في طفولته ويتجسس على إخوته، وكان أي ضجيج يدفعه لسحب مسدسه الذي كان يحمله دائمًا، وبعد اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني Alexander II (١٨٥٥-١٨٨١م) زاد خوفه على حياته ولم يعد يذهب إلى سريره إلاَّ بعد تفتيش دقيق لغرفته، وتضاعفت مخاوفه من الموت مسمومًا بعد اغتيال ذلك القيصر، ودفعه خوفه من الاغتيال في الظلام إلى عدم مبارحة قصره بعد الغروب، لذا كانت جميع غرف قصره وممراته مضاءةً من غروب الشمس حتَّى شروقها، ولاسيَّما في أواخر حكمه، ولحماية نفسه كان يرتدي درعًا مضادًّا للرصاص عند ظهوره أمام الملأ منذ حادث اغتيال الامبراطورة إليزابيث (١٨٥٤-١٨٩٨م) زوج إمبراطور النمسا والمجر فرانز

=١٩٧٤م. (تجدر الإشارة هنا إلى أن جون هاسلب مؤلفة وليست مؤلفًا، كما يظن الكثيرون).

(١) عبد الحميد الثاني (السلطان)، مذكراتي السياسية (١٨٩١- ١٩٠٨م)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٠٩ (من هنا فصاعدًا: عبد الحميد، مذكراتي السياسية)؛ جون هاسلب، المصدر السابق، ص١٦٤-١٦٥.

جوزف الأول (١٨٤٨-١٩١٦م)[١] في ١٠ أيلول ١٨٩٨م خلال زيارتها إلى سويسرا[٢].

كذلك، ذكر المؤرِّخ العثماني عثمان نوري أن غرفة نوم السلطان كانت مكاناً سريًّا، وقبل الذهاب إلى سريره كان يتفقد جناحه، وكان نومه خفيفاً، وكان في قلق دائم من احتمال تسميمه، فاتخذ تدابير احترازيةً مثل إعداد طعامه في مطبخ خاص، وبعد الطهي كان الطعام يُوضع على طاولة مغطاة بسجادة مختومة بالشمع، وتُطبق الاحتياطات نفسها على سلة الخبز وقارورة الماء، فلا تُكسر الأختام إلاَّ أمامه، ولزيادة الحيطة كان يأمر آخرين، بما فيهم الطاهي، بتذوق الطعام قبله، ولمَّا وكان رئيس الطباخين مسؤولاً عن صحَّته وسلامته، زادت مكانته في القصر، وكانت القهوة والسجائر تُعدُّ أمامه[٣]، وقد لاحظ عددٌ من الرحالة الأميركيين والأوروبيين قلقه واتخاذه احتياطات صارمةً في أثناء المقابلات[٤].

في حديثه عن شخصية السلطان ذكر المؤرِّخ البريطاني دزموند ستيوارت Desmond Stewart (١٩٢٤-١٩٨١م)، أنه تعلم الحذر بين الحريم، فقد توفيت أمه وهو طفلٌ، فوجد عوضًا منها في والدة عمِّه السلطان عبد العزيز[٥]، ثمَّ وصف

---

(١) جون هاسلب، المصدر السابق، ص٢٠، ٥٩، ١٢٠، ١٥٤، ١٧٩، ١٩٧، ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) جاسم محمَّد حسن، "هموم السلطان عبد الحميد الثاني وجهاز الجاسوسية في الدولة العثمانية"، مجلة العلوم الاجتماعية، مج١٠، ع٢، الكويت، حزيران، ١٩٨٢م، ص٢٦.

(٣) عثمان نوري، عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي: حيات خصوصية وسياسية سي، مطبعة عامرة، در سعادت (إستانبول)، ١٣٢٧ (١٩١١م)، ج٢، ص٤٨٣، ٤٨٧.

(٤) جاسم محمَّد حسن، المصدر السابق، ص٢٦.

(٥) والدة السلطان عبد العزيز هي السلطانة پرتو نهال هانم (١٨١٢-١٨٨٣م)، وزوج السلطان عبد المجيد الأول، في حين كانت والدة السلطان عبد الحميد هي تيرمژكان (تيريمجكان) قادين أفندي (١٨١٩-١٨٥٣م)، وهي الزوج الثالثة للسلطان عبد المجيد الأول، وهي شركسية ــ أرمنية، بمعنى أن والدة عبد العزيز هي ليست جدة عبد الحميد الثاني.

الجو في الوسط الذي عاش قائلاً: "إن جناح الحريم مؤسسةٌ يصعب تصورها، فهي مستنبتٌ للمؤامرات... وإذ كان عبد الحميد في جناح الحريم طفلاً بين أطفال كُثُر، فقد اعتاد منذ صغره أن يخفي أفكاره"، ثمَّ استطرد في حديثه حتَّى وصل إلى عبارة قد تبدو عاديةً جدًّا ولا تلفت الانتباه، لكنها غاية في الأهمية، فهي مفتاح سلوك عبد الحميد وشخصيته خلال سنوات صِباه وقبيل توليه الحكم، إذ قال: "كان عبد الحميد بحاجة إلى صديق، لكنه عرف أن الصديق من أبناء قومه قد يكون خطرًا ومصدر فساد له، وكان جلُّ اهتمامه منصبًّا على تعلم كيفية الحكم"[(١)].

من خلال تحليل تلك العبارة نرى أنه كان يميل إلى العزلة، ولكنه كان يتطلع إلى الحكم منذ وقت مبكر، وكان ذلك أحد أسباب قيامه ببناء جهاز جاسوسية واستخبارات قوي حينما أُتيحت له الفرصة وتولى الحكم.

اختلطت تلك الخصلة مع خصلة أخرى عُرف بها السلطان وكانت جزءًا من شخصيته، ألا وهي حبه لذاته؛ إذ روى عنه أميرالاي الجوق الموسيقي الهمايوني سالم بك الشركسي حكايةً تدلُّ صراحةً على حبه لذاته جاء فيها ما يستحق أن نقتبس منه الفقرة التالية:

"كنتُ في حداثة سني في جملة الذين عيَّنهم السلطان عبد المجيد لمرافقة الأمير عبد الحميد في صغره، وكان يعطي لكل منا ليرةً عثمانيةً في كل صباح، فكان عبد الحميد يأتي إليَّ ويقنعني بأن 'البشلك'[(٢)] أفضل من الليرة بحجة أنه أكبر حجمًا

M. Çağatay Uluçay, *Padişahların Kadınları ve Kızları*, Ötüken Yayınları, Istanbul, 2011, s. 204, 218.

(١) دزموند ستيورت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث: معبد جانوس، ترجمة: زهدي جار الله، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٢٨. وعن ميله للعزلة وعدم مخالطة الآخرين، يُنظر: أورخان محمَّد علي، السلطان عبد الحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، مكتبة دار الأنبار، الرمادي، ١٩٨٧م، ص٢٢٨-٢٣٤.

(٢) "البشلك" لفظة تركية مؤلفة من "بش" أي خمسة، و"لُك" أي قطعة، وكانت تعادل حينذاك خمسة قروش، ثمَّ امتنعت الخزينة عن قبضه إلاَّ بثلاثة قروش، وهكذا

منها، فكان يأخذ الليرة مني ويضع في يدي بشلكًا بدلاً منها، فبلغ هذا الخبر والده السلطان عبد المجيد، فضحك حتَّى استلقى على قفاه، ثمَّ استدعى إليه عبد الحميد وقال له: 'إذ كنتَ من الآن تتعلم النصب والاحتيال، فكيف إذا كبرت وتوليت زمام الرعية'"[١]؟

تسلط الفقرة أعلاه الضوء على جانب من شخصية السلطان، إذ تتَّضح من خلالها أن لديه نزعة الدهاء والاحتيال على الآخرين، وهي النزعة التي لا يمكن تطويرها وصقلها إلاَّ حينما يكون ذا سلطة، فكيف الحال إذا كانت تلك السلطة مطلقةً؟

العامل المهم الآخر الذي رسم ملامح شخصية السلطان هو وجود بعض الشخصيات التي كانت تثير الريبة والشكوك في نفسه، مثل مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤م) وشقيقه مراد الخامس (١٨٤٠- ١٩٠٤م) وغيرهما.

كان مدحت باشا أبرز أعداء عبد الحميد الثاني حتَّى قبل توليه العرش، فهو المسؤول برأيه عن قتل عمِّه عبد العزيز وعزل شقيقه مراد الخامس (٣٠ أيار- ٣١ آب ١٨٧٦م)[٢]، فكان ينظر إليه بعين الريبة، إلى جانب الفرق الشاسع في

خسرالأهالي قرشين في كل قطعة منها. يوسف نعمان معلوف، أسرار يلدز: أو العقد الثمين في تاريخ أربعة سلاطين، مطبعة الأيام، نيويورك، ١٩٠٠م، ص١٦٠-١٦١.

(١) يوسف نعمان معلوف، المصدر السابق،، ص١٦٠-١٦١؛ وكان لدى السلطان عبد العزيز ثمانية أبناء ما بين أولاد وبنات، ولكن أكبرهم هو عبد المجيد، وهو من مواليد عام ١٨٦٨م، إلاَّ أنه يصغر ابن عمه عبد الحميد بـــ٢٦ عامًا، لذا كان عبد الحميد وشقيقه مراد الخامس أبرز المرشحين لخلافة السلطان عبد العزيز.

Lâle Uçan, "Son Halife Abdülmecid Efendi'nin Hayatı - Şehzâlik, Veliahtlık ve Halifelik Yılları", Doctota Tezi, Istanbul University Institute of Social Sciences, 2019, ss. 24-25.

(2) Cevdet Küçük, "Murad V", *IA*, c. 31, TDV, Ankara, 2020, ss. 183-185;

التوجهات بينهما، فهذا ليبراليٌّ متأثرٌ بالغرب يدعو إلى الدستور وتقييد صلاحيات السلطان، وذاك محافظٌ متمسكٌ بالحكم المركزي المطلق، ويرجع سوء الظن بين الطرفين إلى بداية حكم السلطان الذي يمكن أن يُقال عنه إنه تمَّ بـــ "صفقة سياسية"، ففي مقابل ترشيحه لعرش السلطنة وإزاحة شقيقه السلطان مراد الخامس، اشترط مدحت باشا ورفاقه الليبراليون إعلان دستور للبلاد، فوافق السلطان على ذلك وتمَّت الصفقة، فعُزل السلطان مراد ونُصِّب عبد الحميد الثاني الذي أعلن أنه سيحكم حكمًا دستوريًّا حال اعتلائه العرش، فأعلن الدستور (المشروطية الأولى) في ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦م، بحسب الاتفاق، غير أنه أصرَّ على إقحام المادة ١١٣ فيه التي تجيز له إبعاد أي شخص يشكُّ بولائه للدولة، وهو ما فعله لاحقًا بالضبط بحق مدحت باشا في عام ١٨٨١م، الذي كان أول مَن وضع الدستور وأول ضحاياه أيضًا[١].

غير أن أكثر ما كان يثير امتعاض السلطان من مدحت باشا غروره ونشاطاته وارتباطاته المريبة ببريطانيا والمحافل الماسونية التي كان يمقتها أشد المقت[٢]، إلى جانب قيامه بتشكيل جيش خاص به أطلق عليه اسم "جنود الأمة"، وحينما طلب السلطان أن يكون الجيش تابعًا للجيش العثماني الأول نظَّم ضباطه مظاهرات تأييدًا لمدحت باشا، فغضب منه وعزله في عام ١٨٨١م، يضاف إلى

كشفت التقارير السرية التي كُشف النقاب عنها بعد ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨م عن ضلوع مدحت باشا بالتآمر في اغتيال السلطان عبد العزيز عام ١٨٧٦م، فأُدين وحُكم عليه بالإعدام عام ١٨٨١م، لكن الحكم خُفف إلى السجن المؤبد، ثمَّ ما لبث أن قُتل ذبحًا في زنزانته في الطائف عام ١٨٨٤م. يُنظر: عبد الحميد، مذكراتي السياسية، ص٢٦، ٣٢.

(١) دزموند ستيوارت، المصدر السابق، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) تؤكد الكثير من المصادر المتخصصة والمعاصرة مسألة انتماء مدحت باشا للماسونية، يُنظر على سبيل المثال:

The Freemason, Saturday, June 17,1876, p. 277; Favin Brenier, "Freemasonary in Turkey", *The Oxford and Cambridge Review*, no. 24 (1912), p. 151.

ذلك طموح مدحت باشا بإزاحته عن العرش واستلام الحكم عوضًا عنه، إذ قال ذات يوم: "ماذا لو حكم آل مدحت عوضًا عن آل عثمان"[١]؟ وكذلك حمَّل السلطانُ مدحت باشا مسؤولية اندلاع الحرب الروسية ــ العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨م) التي انتهت بكارثة على البلاد وأدت إلى فقدانها أهم ممتلكاتها في الروملي بموجب معاهدة سان ستيفانوس في ٣ آذار ١٨٧٨م، لكنه حسم مخاوفه منه أخيرًا ونفاه إلى الطائف عام ١٨٨١م[٢].

أمَّا شقيق السلطان مراد الخامس، فكان مجرَّد بقاؤه حيًّا، رغم حجزه، يؤرقه ويوقظ وساوسه ومخاوفه لئلا يتماثل للشفاء ويعود إلى العرش[٣]، وتؤكد بعض المصادر أن استياءه منه لم يكن مرتبطًا بعرشه، بل يعود إلى ما قبل استلامه العرش حينما كان أميرًا واصطحبه عمِّهما عبد العزيز بجولة في بعض دول أوروبا (تموز ١٨٦٧م)، ففي أثناء وجودهم في ميناء مرسيليا أصيب عبد الحميد بصداع دار على إثره حوارٌ بينه وبين عمِّه ينُمَّ عن وجود شعور كامن لديه بالغيرة تجاه شقيقه تنبغي الإشارة إليه لأهميته؛ فحينما سأله عمُّه عن سبب أوهامه ووساوسه، أجاب:

> **"إن ما أصابني ليس من جري الوساوس والأوهام، ولكني متأثرٌ ومنفعلٌ ممَّا أراه من كثرة محبة الناس لأخي مراد وعدم اكتراثهم بي، فإن الجميع يحترمونه ويُقبلون على محادثته، أمَّا أنا فلا يكلموني ولا ينظرون إليَّ إلاَّ بوجه عبوس كأنني لستُ**

(1) Orhan Koloğlu, *Abdülhamit Gerçeği*, 2nd ed., Gür Yayınları, İstanbul, 1987, s. 340.

(٢) عبد الحميد، مذكراتي السياسية، ص١٢؛ دزموند ستيوارت، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٣) عن حياة السلطان مراد الخامس في سجنه بقصر جيراغان، يُنظر: عمر أبو النصر، عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في البلاد العربية، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٩، ج١٤، ص٤١٨-٤٢٣.

شيئًا مذكورًا في أعينهم، حتَّى أن رئيس بلدية مرسيليا قال في ليلة أمس 'إن مراد أفندي يصلح أن يكون بلا ريب سلطانًا مفيدًا للأمة، أمَّا أخاه فإنه بعكس ذلك"(١).

انتهى الحوار بين الطرفين بعبارة أكَّدت لعبد الحميد استهزاء عمِّه بإمكاناته وبمقدرته في الحكم، إذ قال:

"إنك إذا صرت سلطانًا وجعلت محور أعمالك الوساوس والأوهام كما هي حالتك الآن، لقُدتَ الدولة إلى الخراب وعرَّضت الأمة إلى التحقير في أنظار الأمم الأجنبية، وإنني لأُشفقُ على الأمة العثمانية إذا قُدِّر أن تكون يومًا سلطانَها وأحزن لوخامة مستقبلها"(٢).

تكشف الرواية أعلاه نوازع عبد الحميد الحقيقية تجاه شقيقه مراد، وتفسِّر سبب هواجسه ووساوسه من إعادته إلى الحكم، غير أن أسباب تلك الريبة لم تكن نابعةً من دوافع شخصية فحسب، بل تتعلق بارتباط السلطان مراد الخامس بالماسونية وببريطانيا، وهو ما اتضح جليًّا في حادثة علي سعاوي (أو حادثة جيراغان) عام ١٨٧٨م.

تفاقمت مخاوف السلطان وشكوكه بعد العثور على منشورات تدعو إلى إزاحته، وساهمت ظروف متعددة، مثل اغتيال حسن الشركسي(٣)، ومؤامرة علي

---

(١) يوسف نعمان معلوف، المصدر السابق، ص١٦٦-١٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(٣) تتلخص تلك الحادثة المسماة "واقعة حسن جركس" بقيام مرافق السلطان عبد العزيز والشقيق الأصغر لقرينته نسرين قادين حسن الشركسي باقتحام اجتماع الحكومة في ليلة ١٥ حزيران ١٨٧٦م، وقتل وزير الخارجية محمَّد رشيد باشا وحسين عوني باشا مع عدة أشخاص بمسدسه الشخصي، واتهامه الثاني في قتل السلطان. يُنظر:
Alperen Demir, "Çerkes Hasan Vakası", Yüksek Lisans Tezi, Sakarya Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Tarih Ana Bilim Dalı, Yakınçağ Tarihi Bilim Dalı, Mayis 2018.

سعاوي ومحاولة صقاليري وعزيز بك (اللتين سنتحدث عنهما)، وأنشطة بعض الشبان الأتراك المعارضين في أوروبا، وعمليات اللجان البلغارية والأرمنية، ومع تزايد اطلاعه على ما كان يحصل من اضطرابات في الكثير من البلدان وحوادث اغتيال الحكام الوهمية التي يختلقها المخبرون يوميًا للتقرب إلى القصر وكسب رضاه، زادت مخاوفه وأصبح يخشى أقرب المقربين إليه(١).

مع ذلك، لا يمكن أن نعدَّ العاملَيْن السابقَين، نشأة عبد الحميد وشكوكه من حاشيته المقربة والمحيطين به، نقطة انطلاق للحديث عن جهاز الاستخبارات العثماني الذي ارتبط بعهده، لأن المخاوف الشخصية شيء ومصير البلاد شيءٌ آخر، فالاستخبارات منظومة عمل متكاملةٌ ومرتبطةٌ بمؤسسات الدولة أكبر وأوسع من مجرَّد وسيلة لحماية حياة السلطان وعرشه.

كان العامل الثالث في صوغ اهتمام السلطان وتركيزه بالتالي على جهاز الاستخبارات هو التحديات الداخلية والخارجية قُبيل وعشية توليه الحكم.

من المعروف أن الدولة العثمانية مرَّت منذ مطلع حكم السلطان عبد الحميد بأزمات دولية وأخرى داخلية هددت مصيرها ووحدة أراضيها، فمنذ ارتقائه العرش في ٣١ آب ١٨٧٦م، وإعلان الدستور في ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦م أوعز بتشكيل مجلس المبعوثان (مجلس النواب) وأفتتحه بنفسه، كما واجه مطالب أوروبية بضرورة تحسين أوضاع الرعايا المسيحيين، وعلى الرغم من رفع تلك المطالب إلى مجلس المبعوثان، إلاَّ أنه رفضها وعدها تدخلاً في الشؤون الداخلية العثمانية(٢).

---

(1) Nurdan İpek Şeber, "Namlunun Ucundaki Padişah, II. Abdülhamid'e Karşı Planlanan Suikastlar", *İstanbul Üniversitesi Türkiyat Mecmuası*, c. 22, sy. 1, 2012, ss. 35-36.

(٢) ستانفورد ج. شو وإيزيل كورال شو، تاريخ الدولة العثمانية وتركيا الحديثة، ج٢ (١٨٠٨-١٩٧٥م)، ترجمة: أحمد سالم سالم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة ــ بيروت، ٢٠٢٥م، ص٣٠٣، ٣٠٩، ٣١١-٣١٤.

في الوقت ذاته واجه السلطان تجدد الأزمات في مناطق مختلفة من الروملي عندما اندلعت في ولايتي البوسنة والهرسك عام ١٨٧٦م انتفاضات انفصال عارمةٌ، وكانت بلغاريا في حالة غليان[١]، وكان الصرب والجبل الأسود يحاربان العثمانيين بتحريض من روسيا التي خاضت ضدهم حربًا مباشرةً (١٨٧٨-١٨٧٧م) وصلت فيها أساطيلها إلى مشارف العاصمة إستانبول وكادت أن تحتلها لولا تدخل البريطانيين الذين انتهزوا الفرصة، فحصلوا على موافقة السلطان، مقابل حمايته، لإشغال جزيرة قبرص (فأشغلوها عام ١٨٧٨م)، واحتلوا مصر في عام ١٨٨٢م[٢].

فاقمت حركات التمرد الداخلية التي تزامنت مع تلك الحرب مخاوف السلطان، إذ تمرد الأرمن عام ١٨٧٨م، مطالبين بالانفصال بتحريض من روسيا، وأخذت العصابات الأرمنية تهاجم القرى العثمانية والكردية في شرق الأناضول، واتضح بعد نهاية الحرب أن بريطانيا وفرنسا تخلَّتا عن سياستهما التقليدية في المحافظة على سلامة الدولة العثمانية وأخذتا تفكران باقتطاع أجزاء منها؛ فأيَّدتا انتقال حكم البوسنة أداريًّا للنمسا، فيما استولت فرنسا على تونس عام ١٨٨١م[٣].

ترتب على العوامل الثلاثة أعلاه: نشأة عبد الحميد وخصاله الشخصية، وفقدانه الثقة بوزرائه وحاشيته المقربة، والتحديات الخارجية والداخلية التي واجهتها البلاد في مطلع عهده، أن اعتمد على تقارير الجواسيس لمعرفة الأوضاع

---

(١) عن تلك الثورة، يُنظر الفصل الثاني من أطروحة ساهرة حسين محمود، "المسالة البلغارية في الدولة العثمانية ١٨٧٨-١٩١٤م"، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٦م.

(٢) خرجت جزيرة قبرص عن السلطة العثمانية بعد حصول تمرد ديني قومي فيها عام ١٨٧٨م انتهى بمطالبة سكانها بالحكم الذاتي وإلحاقها باليونان. يُنظر: عبد العزيز محمَّد الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ج٢، ص١٠٦٥-١٠٦٧، ص١٠٧٣.

(٣) عن تلك التطورات، يُنظر: ستانفورد ج. شو، المصدر السابق، ص٣٢٢-٣٦٠.

في البلاد وإحكام قبضته عليها، وهكذا بدأ يفكر بتطوير شبكة أمن واستخبارات سرية وواسعة وقوية مرتبطة به ارتباطًا مباشرًا لحماية حياته وحكمه من جهة وحماية دولته والمحافظة على بقائها من جهة أخرى.

ثانيًا: البنية المركزية وآلية السيطرة على الحكم

عند الحديث عن جهاز الاستخبارات العثماني في عهد السلطان عبد الحميد، لا بدَّ من تناول سياسات السلطان الأمنية لمعرفة أساليبه في مواجهة شتَّى التهديدات في وقت تعاظمت فيه أهمية السياسة المركزية التي حتَّمت عليه انتهاج سياسات أمنية استثنائية.

برز هدفان في سياسات الأمن العثمانية حينذاك: توظيف موارد البلاد للحفاظ على وحدة الصف الداخلي، وإبقائها ضمن إطار القوى الكبرى من خلال انتهاج سياسة توازن دبلوماسي لضمان استمرار وجودها كيانًا متماسكًا، وكان الترابط بين أمن السلطان الشخصي وأمن النظام ككل قويًّا، لأنه كان الماسك بزمام السلطة والسلطنة معًا من الأساس، ولكن بعد محاولتي الانقلاب ضده عام ١٨٧٨م، انطوى على نفسه في قصره وتحولت قضية أمنه الشخصي إلى أكبر هاجس له وللدولة ككل، ولذلك سارت الإجراءات الرقابية المبنية على ربط أمن النظام بأمن السلطنة بالتوازي[١].

على الرغم من جميع الهواجس والمخاوف التي رافقت السلطان داخليًّا، إلاَّ أن العامل الأساس الذي دفعه لتعطيل العمل بالدستور وحكم البلاد حكمًا مركزيًّا كان خارجيًّا تمثَّل باستغلال الحرب الروسية ــ العثمانية، إذ أعلن إنهاء مهام مجلس المبعوثان وعلَّق العمل بالدستور في ١٩ آذار ١٨٧٧م، وحكم البلاد حكمًا مركزيًّا حتَّى نهاية حكمه[٢].

---

(1) Emre Gör, *Abdülhamid…*, s. 82.

(٢) الدستور، ترجمة: نوفل نعمة الله نوفل، المطبعة السورية، بيروت، ١٩٣٠م (جزءان).

تعدُّ حادثة جيراغان (٢٠ أيار ١٨٧٨م)، ومحاولة صقاليري وعزيز بك، اللتان كان الهدف منهما إعادة مراد الخامس إلى العرش، إحدى دوافع إحكام قبضة السلطان على البلاد؛ إذ عُرفت أولاهما باسم "محاولة علي سعاوي"، وعلي سعاوي صحفيٌّ عثمانيٌّ عاد من فرنسا إلى إستانبول عام ١٨٧٦م، فعيَّنه السلطان مديرًا لمدرسة غَلَطة سراي الثانوية، ولكنه ما لبث أن فصله منها لكونه من أنصار مراد الخامس، ما أدى إلى تدهور العلاقة بينهما، ولأنه كان يعمل ضمن مجموعة أوسع، إذ كان هو وزوجته البريطانية على صلة بالنائب البريطاني المحافظ هنري بتلر جونستون Henry Butler-Johnstone (١٨٠٩-١٨٧٩م) الذي كان في إستانبول حينذاك، وقد أثارت شخصيته المركبة وشبكة علاقاته الواسعة شكوك السلطان بشأن دور بريطانيا في تلك الحادثة(١).

قام علي سعاوي بنشر إعلان في صحيفة **بصيرت** قبل تنفيذ الحركة بيوم واحد (١٩ أيار ١٨٧٨م)، ما يعني أنه كان يعطي مجموعته إشارة التحرك، وأن تلك الحادثة كانت خطةً جماعيةً على درجة عالية من الدقة والإحكام(٢)، وأثرت

---

(١) برنارد لويس، ظهور تركيا الحديثة، ترجمة: قاسم عبده قاسم وسامية محمَّد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٢٢٢؛ عن تفاصيل تلك الواقعة ومحاولة علي سعاوي إعادة مراد الخامس إلى العرش، يمكن الرجوع إلى: جوقه باش، المصدر السابق، ص١٣٩-١٤٣؛ عمر أبو النصر، المصدر السابق، ص٤٢٤-٤٢٩. وللاطلاع على دراسة أكاديمية حديثة عن حياة علي سعاوي ودوره في السياسة العثمانية، وفي حادثة جيراغان تحديدًا، تُنظر دراسة الباحث أهارون جونسون في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مكغيل في مونتريال التالية:

Aaron S. Johnson, "A Revolutionary Young Ottoman: Ali Suavi (1839-1878)", Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal, June 2012.

(٢) للتفاصيل عن تلك المحاولة، يُنظر: برنارد لويس، المصدر السابق، ص٢٢٢-٢٢٣؛ وذكر المؤرِّخ البريطاني جون باتريك كينروس أن المفوض ضرب علي سعاوي بالسيف، ويتفق مع غيره من المؤرِّخين في أن العملية كانت خطةً جماعيةً نفذها لفيفٌ=

في سلوك السلطان وفي اتزانه العقلي، وقد لاحظ سفير بريطانيا لدى الباب العالي السير هنري أوستن لايارد Sir Henry Austen Layard (١٨٧٧-١٨٨٠م/ ١٨١٧-١٨٩٤م) ذلك التأثير في أثناء زيارته السلطان لمناقشة بعض الأمور الدبلوماسية، وقال:

"ومنذ ذلك الحين تحولت شكوكه ومخاوفه إلى مرض عصبي ملازم له، وأصبح قصر يلدز مثل القلعة وأغلقت بواباته من الداخل، وشيد [السلطان] جدارًا دائريًّا جديدًا حوله وعددًا من الثكنات لحرسه الألبانيين الذين بلغ عددهم بضعة آلاف، ووضع نقاطًا للمراقبة بين أسوار القصر وبها مراصد قويةٌ للتحكم في جميع المناطق المجاورة للبوسفور والقرن الذهبي للمساعدة في تأمين القصر ضد أي تهديدات محتملة من أي اتجاه"(١).

بعد أقل من شهرين على تلك الحادثة، أي في تموز ١٨٧٨م، كشف بلاغٌ وصل إلى الشرطة العثمانية عن محاولة انقلاب أخرى خطط لها كلينث صقاليري وعزيز بك تلخصت بتهريب مراد الخامس من قصر جيراغان، ولكنها اكتُشفت بسبب بلاغ من الكاتب في غرفة الملفات في نظارة المالية الحاج حسني بك بن علي بك، (وهو أحد رجال مراد الخامس السابقين)(٢).

كان عزيز بك مفتشًا تربويًّا، أمَّا صقاليري، فكان يونانيًّا غريب الأطوار من مواليد إستانبول وعضوًا في محفل "برودوس" (التقدم) الماسوني اليوناني، ثمَّ التحق بمحفل "اتحاد الشرق" الماسوني في عام ١٨٧٥م، وكان المسؤول الأول عن

=من أعوان علي سعاوي. يُنظر: القرون العثمانية: قيام وسقوط الامبراطورية التركية، ترجمة: ناهد إبراهيم دسوقي، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٦٠٠.

(١) المصدر نفسه، ص٥٩٩-٦٠٠.

(2)Ahmet Kisa, "Cleanthi Scalieri ve Aziz Bey Komitesi (1876-1878)", Yüksek Lisans Tezi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Tarih Anabilim Dalı, Hacattepe Üniversitesi, Ankara, 2012, ss. 5, 23, 38.

كسب الأمير مراد (ولي العهد آنذاك) إلى الماسونية، وتشير رسائله إلى أن السلطان حاول إخضاع المحافل الماسونية للمراقبة، فامتعض من ذلك وقال لأعضاء المحفل: "من يدري كم مرة رأينا جواسيس يجولون حول أبواب معابدنا وكم مرة أرشدنا مَن كانوا يحاولون التنديد بإخواننا المسلمين"(١)، ما يدل على أن المحافل الماسونية كانت تحت مراقبة دقيقة.

لكن مثلما فشلت محاولة علي سعاوي، فشلت محاولة صقاليري وعزيز بك، فخلال عملية دهم للشرطة، تمكن أفرادها من الفرار ومغادرة البلاد وأُلقي القبض على آخرين(٢)، ولأن هاتين الحادثتين تركتا أثرًا عميقًا في نفس السلطان، وبدأ ينعزل داخل قصره، ويمكن القول إن بداية حكمه المطلق بدأت في ٢٠ أيار ١٨٧٨م تحديدًا، وأن محاولات خطف مراد الخامس هي التي عززت ميوله الاستبدادية(٣).

دفعت الحادثتان السلطان إلى مراجعة وظائف الاستخبارات في البلاد، لدرجة أن أول ما فعله بعدهما مضاعفة عدد رجال الشرطة والجواسيس لحماية قصره، وطُبِّق ذلك الإجراء في بقية أنحاء العاصمة والدولة العثمانية ككل(٤).

كانت الحادثتان من أهم أسباب تعزيز الجهد الاستخباري، وتؤكد دراسةٌ حديثةٌ أن التغير التدريجي الذي طرأ على فهم السلطان للأمن والحماية والتحول نحو الحكم الاستبدادي وتأسيس آلية سيطرة متمركزة في قصر يلدز، كلها عوامل أدت إلى بلورة جهاز استخباري بمستوى تحديات المرحلة، وتكشف الوثائق العثمانية المتعلقة بالتهديدات الداخلية وأنشطة بعض الأجانب وحركات اللجان الثورية الانفصالية في أرمينيا وبلغاريا عن أسباب تطوير عمل ذلك الجهاز، وقد

(1) Paul Dumont, *Osmanlıcılık, Ulusçu Akımlar ve Masonluk*, Ali Berktay (çev.), Yapı Kredi Yayınları, İstanbul, 2000, ss. 175-177, 179-181.

(٢) برنارد لويس، المصدر السابق، ص٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) Emre Gör, *Abdülhamid…*, ss. 203-204.

استغل السلطان صلاحياته المطلقة لإقامة نظام يركز على "سطوة الحاكم" وحوَّل قصر يلدز إلى مركز لتلك السطوة، بحيث أدت سياسته المركزية المطلقة إلى انتقاد آلية حكمه وأدواته، بما فيها جهاز الاستخبارات[١].

كان ذلك الجهاز يُدار من قصر يلدز ويمتد إلى معظم المؤسسات الأمنية والإدارية، مثل نظارة الداخلية ومراكز الشرطة في العاصمة والولايات؛ ولذلك فإن الفهم الصحيح لإجراءات الرقابة والجهاز الاستخباري في العهد الحميدي يعتمد على فهم آلية الاستخبارات التي شملت البلاد ككل، ولتحقيق تلك الغاية لا بدَّ من دراسة الجهد الاستخباري الداخلي والخارجي حينذاك، وسنبدأ في العاصمة أولاً، ومن قصر يلدز بالذات، كما سيوضح الفصل الثاني.

(1) Emre Gör, *Abdülhamid…*, ss. 205-206.

Abstract

The intelligence-gathering activities of the Ottoman state and their influence on decision-making remain among the least understood subjects in Ottoman history. From its foundation, the Ottoman state attached special importance to intelligence activities in order to acquire information about its own situation, surrounding threats, and both internal and external enemies; to preserve peace and order within the empire; and to counter the intelligence efforts of rival and hostile states. Although there was no intelligence apparatus by modern standards until the early twentieth century, the collection of information and the establishment of mechanisms for this purpose required particular procedures and expertise.

This study examines the structure and function of the Ottoman intelligence network during the reign of Sultan Abdulhamid II, a period when the empire faced highly critical internal and external circumstances. It reveals how the intelligence network—given special attention by Abdulhamid II—served as one of the fundamental tools for safeguarding the authority of the Ottoman state in domestic politics, particularly through the Yıldız Palace, and for shaping its foreign policies. The study gives priority to the structural and functional aspects of this network, while also addressing the channels and strategies employed by the Ottomans in delivering intelligence. Special attention is devoted to the era of Abdulhamid II, including both internal intelligence within the Ottoman provinces and external intelligence beyond the empire's borders.

The dissertation consists of an introduction, five chapters, and a conclusion. **Chapter One** traces *Espionage and intelligence in the Ottoman state up to 1880*, divided into three sections: the origins and development of Ottoman espionage and intelligence up to 1876; Sources of espionage and categories of Ottoman intelligence; and the factors behind Abdulhamid II's inclination toward absolute rule.

Chapter Two, titled *The Intelligence and Surveillance Organization under Hamidian Absolutism (1880–1908)*, contains of five sections: the role of Yıldız Palace in developing the intelligence and surveillance organization; the foundation and intelligence functions of the *Hafiye* organization (1880); the heads of the Ottoman intelligence organization (*Serhafiye*); Yıldız Palace and intelligence activity in the capital; and the relationship between the police apparatus and intelligence.

Chapter Three, *Elements of Intelligence and Espionage under Abdulhamid II until 1908*, also contains of four sections: spies and the secret police; informants and guides; local officials and their intelligence role; ambassadors, consuls, and diplomats as intelligence agents; and open-source information for the intelligence organization (newspapers and printed material).

Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Diyala
College of Education for Humanities
Department of History
Graduate Studies

The Ottoman Intelligence and Its Impact on Domestic and Foreign Policy (1880–1908)

A Dissertation submitted to the board of College of Education for Humanities, University of Diyala in partial fulfillment of the requirements of the degree of Doctor of Philosophy in Modern and Contemporary History

By

Noor Ibrahim Najm Al-Azzawi

Supervised by

Prof. Wisam Ali Thabit Al-Jubouri (PhD)

1447 AH **2026AD**